البحـث الخامس

التوازي بين قصـة الإسراء والمعراج وأساطير الصعود السماوي
دراسة تحليلية

إعـــداد

د/ أحمد رضا عبد الحميد حسني

قسم الأديان والمذاهب

كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة

جامعة الأزهر

التوازي بين قصة الإسراء والمعراج وأساطير الصعود السماوي
دراسة تحليلية

أحمد رضا عبد الحميد حسني
قسم الأديان والمذاهب، كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة، جامعة الأزهر، مصر
البريد الإليكتروني: ahmedkoridy.١٣@azhar.edu.eg

الملخص:

يهدف البحث إلى مناقشة ودحض شبهة بناء الإسلام على تراثات الأمم الماضية في قصصه وإخباراته وتشريعاته، ومن هذه القصص (قصة الإسراء والمعراج) التي زعم المعاندون للإسلام أنها اقتبست من قصص السابقين كشأن غيرها من القصص، وهذا وهم كبير؛ ذلك أن العلاقة الصحيحة التي تحكم قصص القرآن بقصص الأديان السابقة وما نشأ عنها من تراثات؛ هي (التوازي)، وليس النقل والاقتباس، والتوازي يعني باختصار: الانبثاق عن وضع واحد مع اختلاف في التفاصيل والغايات، وهذا لا يعد طعنا في الإسلام بل تعبير عن (هيمنته) على ما سبقه من أديان وفلسفات، فيقر الصحيح، ويصحح ما طرأ عليه اختلاف وتغيير، ومع وضوح هذه القناعة في أذهان المستنيرين من المسلمين إلا أن هذه القناعة والاعتقاد يقابل بتجاهل من صنفين؛ الأول أتباع الإسلام غير الواعين بمنهج الإسلام على حقيقته؛ ويوقعهم هذا التشابه بين ما في الإسلام وغيره في حيرة كبيرة، والصنف الثاني مجموعات من المعاندين للإسلام، ويمدهم هذا التشابه بين الإسلام وما سبقه من أديان بسيل لا ينقطع من الترهات والشبهات التي ترضي حنقهم على الإسلام وسعيهم الدءوب للنيل من مكانة الإسلام وهيبته في نفوس أتباعه، وصدهم جماهير الحيارى عن هدي الإسلام ونوره، وقد سعى البحث لتقديم دواء لداء الصنفين؛ فقدم أدلة إسلامية تزيل غبش الرؤية عن أتباع الإسلام، ومعالجة منهجية بأحدث التقنيات

المنهجية المتبعة في دراسة الأديان، حتي يقطع السبيل أمام المعاندين، ويضعهم وجها لوجه مع الحق الأبلج، والحقيقة الكاملة التي تنطلق من إلهية الدين وربانية أحكامه وتشريعاته وقصصه، وقد استخدم الباحث المنهج التحليلي والمنهج الظاهراتي، في وصف وتصنيف وتحليل التوازي بين قصة الإسراء والمعراج وقصص الصعود السماوي فيما سبق الإسلام من أديان، وقد توصل البحث إلى ضرورة التخلص من عقدة الرفض التي يعاني منها كثير من الباحثين، والعمل على التواصل بين ماضي الشرق وحاضره عبر إعادة التفسير والقراءة للتراث الشرقي القديم وفق معطيات جديدة، تؤكد وحدة الرسالات الإلهية بما يبني وعيا جديدا يعتز فيه المسلم بدينه وحضارته، ويسلب المعاندين للإسلام أهم أدواتهم في الطعن على الإسلام مع التأكيد على ضرورة توظيف كافة العلوم والمناهج العلمية في الدفاع عن الإسلام .

الكلمات المفتاحية: التوازي، الإسراء، المعراج، أساطير الصعود.

The parallel between the story of the Isra and Mi'raj and the myths of the heavenly ascension: an analytical study

Ahmed Reda Abdel Hamid Hosni
Department of Religions and Sects, Faculty of Islamic Propagation in Cairo, Al-Azhar University, Egypt
E-mail: ahmedkoridy.١٣@azhar.edu.eg

Abstract;

The research aims to discuss and refute the suspicion that Islam is based on the heritage of past nations in its stories, news and legislation, Among these stories is the story of the Night Journey and Ascension, which opponents of Islam claim was taken from the stories of the predecessors, like other stories. This is a great illusion; because the correct relationship that governs the stories of the Qur'an with the stories of previous religions and the heritages that arose from them is (parallelism), not transmission and quotation. Parallelism means, in short, emerging from a single situation with a difference in details and goals. This is not considered a stab at Islam, but rather an expression of its (dominance) over the religions and philosophies that preceded it, so it confirms what is correct and corrects what has been different and changed. Despite the clarity of this conviction in the minds of enlightened Muslims, this conviction and belief is met with ignorance from two types: the first is followers of Islam who are not aware of the true methodology of Islam; This similarity between what is in Islam and other religions causes them great confusion. The second group are groups of people who are hostile to Islam. This similarity between Islam and the religions that preceded it provides them with an endless stream of nonsense and doubts that satisfy their anger at Islam and their persistent efforts to undermine the status and prestige of Islam in the souls of its followers, and to turn the masses of the confused away from the

guidance and light of Islam, The research sought to provide a cure for the disease of the two types; it presented Islamic evidence that removes the blurring of vision from the followers of Islam, and a systematic treatment with the latest methodological techniques used in the study of religions, in order to cut off the way for the opponents, and put them face to face with the clear truth, and the complete truth that stems from the divinity of religion and the divine nature of its rulings, legislations and stories.

The researcher used the analytical method and the phenomenological method in describing, classifying and analyzing the parallelism between the story of the Isra and Mi'raj and the stories of the heavenly ascension in the religions that preceded Islam. The research concluded that it is necessary to get rid of the rejection complex that many researchers suffer from, and to work on communicating between the past and present of the East through reinterpreting and reading.

Keywords; Parallelism, Isra and Mi'raj, Myths of ascension.

□

المقـــدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله – صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد، فالاستهلاك المعرفي سمة العصر الحاضر، ذلك أن قيم العولمة وتشييء الإنسان جعلت من الحياة الإنسانية سوقا كبيرا لعديد السلع وعلى رأسها السلع الفكرية، وتقف حقائق الإسلام وإخباراته عائقا كبيرا أمام نُفُوق هذه السوق ورواجها، لذلك لا تألوا القوى المناوئة للدين – خاصة الإسلام – جهدا لفض الناس عن تعاليمه وهداياته بشتى الوسائل والملهيات، فتارة يرمون تعاليمه بالجمود والبداوة، وتارة يزعمون أن الإسلام نتاج تفاعل المسلمين مع الأمم، وأنه منقول بشريعته وأخلاقه وقصصه من تراثات الأمم السابقة، وليس للإسلام فضل إلا في إعادة التنسيق والصياغة، واستعانوا على ذلك الزعم الأخير بمنجزات كثير من العلوم والفنون والمناهج؛ وجعلوا من حقائق العلم بل ونظرياته نقيضا للإسلام؛ فكلما اكتشف حجر أو أداة أو رقم جعلوا اكتشافها خصما من رصيد الإسلام التاريخي والمفاهيمي، واستعانوا بالهالة المنهجية والعلمية التي تغشي كثيرا من الابصار في عالمنا المعاصر.

وما دروا بأن الإسلام يمتلك الحقيقة المطلقة، التي تستعصي على الطعن منهجيا ومفاهيميا وتاريخيا، وأنه مع الإنصاف والتخلي عن التعصب الأعمى لا يمكن لشبهة أن تظهر في سماء الإسلام، فالله – تعالى– تحدى بنصر الإسلام وسيادته، قال – تعالي–: ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [الصف: ٨].

ومن الشبهات الأثيرة لدى الملاحدة والمعادين للدين، اتهام الإسلام بأنه صاغ (رحلة الإسراء والمعراج) من خلال التكامل والتمثيل لقصص الصعود السماوي في الأمم قبل الإسلام، واستعانوا بالأساطير والنصوص الدينية التي تثبت نوع مشابهة مع رحلة الإسراء والمعراج، فكان هذا البحث ردا على تلك الشبهة مستعينا بأدوات علم

الأديان منهجيا وموضوعيا، قياما بالواجب ودفاعا مخلصا عن الإسلام.

أسباب اختيار وأهمية البحث:

١- الانتشار الواسع والتبجح الإلحادي والمادي بالتشابه بين الإسراء والمعراج والأساطير القديمة.

٢- صدمة العقل المسلم غير المسلح بأدوات علم الأديان، والذي تربى على القطيعة مع ما سبق الإسلام باعتباره كفرا، فيبهت بالمشابهة الظاهرية بين الإسراء والمعراج والأساطير القديمة.

٣- ارتداد كثير من الدفاعات الإسلامية المعتمدة على مهاجمة أصحاب الأديان الأخرى بمشابهة الوثنيات القديمة على الإسلام ذاته، خاصة مع غياب التفسير الصحيح لهذه المشابهة.

٤- احتياج المسلمين المعاصرين لفهم جديد للعلاقة بين الإسلام وما سبقه من أديان، تنبثق من مهمة الإسلام التصحيحية والتقريرية لما سبقه من أديان، وتبتعد عن الانغلاق والتعالي.

أهداف البحث:

١- إثبات هيمنة الإسلام على ما سبقه من أديان.

٢- تفسير المشابهة (التوازي) بين الإسراء والمعراج والصعودات السماوية في الأساطير والأديان السابقة.

٣- نفي التوظيف المادي والملحد لهذه المشابهة في الطعن على الإسلام.

٤- إعادة بناء وعي يقبل بأن الإسلام هو دين الإنسانية الخالد المنزل على أنبياء الله في كل العصور والأزمان، ومع التحريف لهذه الأديان إلا أنه بقيت بقية إلهية تدل على مصدرها الرباني.

إشكالية البحث:

تفسير التشابه الظاهري بين رحلة الإسراء والمعراج في الإسلام، وأساطير وقصص الصعود السماوي في الأديان قبل الإسلام، ومحاولة توجيه هذا التشابه وجهة صحيحة تؤيد الحق الإسلامي، وتدعم مهمته التصحيحية المهيمنة على ما سبقه من أديان، ما ينفي كثيرا من الشبهات التي يصوغها الملاحدة ضد الإسلام.

تساؤلات الدراسة:

١- هل التشابه بين الإسراء والمعراج والأساطير القديمة مرده إلى اقتباس اللاحق من السابق؟

٢- هل الأساطير بصورتها الراهنة جديرة بالاعتبار والاستدلال؟

٣- هل من الممكن أن يتأثر السابق زمنيا باللاحق؟

٤- هل تتغير سنة الله مع الأنبياء والرسل في التأييد والمعونة؟

حدود البحث:

حاول الباحث استيعاب أساطير الصعود المعروفة، والتي تشتمل على أحداث تقترب من الإسراء والمعراج بما فيها من مشاهدات ومحادثات.

منهج البحث:

اعتمد الباحث على المنهج التحليلي القائم (الوصف والتفسير والتركيب)[١]، مع تطبيق الظاهراتية بمراحلها المختلفة للوصول إلى المشتركات والمعنى القابع خلف ظاهرة (المعراج – الصعود السماوي)[٢].

---

١ – يراجع/ أبجديات البحث في العلوم الشرعية في التأصيل المنهجي د/ فريد الأنصاري منشورات الفرقان الدار البيضاء المغرب، ط١١٩٧١.ص٩٦

(٢) يراجع/ الموسوعة الفلسفية: وضع لجنة من العلماء السوفيت تحت إشراف روزنتال – يودين، ترجمة سمير كرم، مراجعة صادق جلال العظم وزميله، ط دار الطليعة (بيروت)، ص ٢٨٨ وما بعدها.

الدراسات السابقة:

لم أقف – حسب اجتهادي – على بحث أو رسالة علمية تناولت هذا الجانب في قصة الإسراء والمعراج، وإن وجدت بعض البحوث العلمية تناولت جوانب قريبة من موضوع البحث مثل:

١- بحث بعنوان/ **قصة الإسراء والمعراج بين التراث الديني والرواية الشعبية العربية والعبرية:** سوزان السعيد يوسف – مجلة رسالة المشرق – مجلد ٣٨ – عدد ٢ يونيو ٢٠٢٣م، وقد اطلعت على البحث، ويدور حول الروايات الدينية للإسراء والمعراج، ومقارنتها بالروايات الشعبية (التراث الشعبي) لتتوصل إلى تأثر الرواية الشعبية اليهودية (وليست التلمودية الرسمية) بالمؤثرات الإسلامية والمسيحية، ولا شك أن هذا بعيد عما يناقشه بحثي من تفسير للتشابه بين الروايات الرسمية، وليس التراث الشعبي.

٢- بحث بعنوان/ **قصص الصعود إلى السماء في اليهودية في ضوء حضارات الشرق الأدنى القديم – دراسة مقارنة:** عبير الحديدي محمد الصياد – مجلة كلية لآداب – جامعة المنصورة – عدد٧٣ – أغسطس ٢٠٢٣م، وقد تناولت الباحثة المقارنة بين قصص الصعود في اليهودية والأمم الشرقية، ولكنها لم تتناول العلاقة بين هذه الصعودات ورحلة الإسراء والمعراج، فضلا عن تناول بحثي (قصة صعود مانيتون المصري) ولم تتعرض لها الباحثة، واكتفاءها بصعودات الملوك، وقدم هذا البحث تفسيرا للتشابه، وحدد العلاقة الصحيحة بين الإسراء والمعراج وما سبقها من صعودات من خلال تطبيق المنهج الظاهراتي، وسعى في الرد على الشبهة الإلحادية حول الإسراء والمعراج من خلال الدراسة، وزاد بحثي (صعودات المندائيين – والمانويين والهنادكة، والمسيحيين، وصعود أنوش)، بينما اكتفت الباحثة (بالمصريين والبابليين والفرس واليهود (موسي – عليه السلام وأخنوخ، وإلياهو) .

خطة البحث:

تشتمل على (المقدمة – التمهيد – ومبحثين، وخاتمة).

التمهيد وفيه:

المسألة الأولى: التعريف بمفردات العنوان.

المسألة الثانية: مصادر صور التوازي.

المبحث الأول: صور التوازي بين الإسراء والمعراج وأساطير الصعود السماوي.

المطلب الأول: الصعود في الأساطير المصرية

المطلب الثاني: الصعود في الأساطير السومرية والبابلية

المطلب الثالث: الصعود في الفكر اليهودي

المطلب الرابع: الصعود في الأساطير المانية.

المطلب الخامس: الصعود في الفكر المسيحي

المطلب السادس: الصعود في الأساطير الهندوكية والزرادشتية

المبحث الثاني: التحليل (الظواهري) لصور التوازي.

المطلب الأول: المعني المشترك بين صور الصعود.

المطلب الثاني: الفهم الإسلامي للمعني المشترك بين صور الصعود.

المطلب الثالث: التوظيف الإلحادي للمعني المشترك بين صور الصعود.

المطلب الرابع: ترجيح التفسير الإسلامي للمعني المشترك بين صور الصعود.

الخاتمة والنتائج والتوصيات.

التمهيد

المسألة الأولى: التعريف بمفردات العنوان

تعريف التوازي لغة:

مصطلح التوازي يعنى في اللغة التقابل من غير تقاطع، " توازى الشَّيئان: وازى أحدُهما الآخر، تقابلا، تواجها، سارا متقابلين بحيث لا يلتقيان إذا امتدّا "توازت العمارتان".[١]

تعريف التوازي اصطلاحا:

نقل مصطلح (التوازي) من حقل (الهندسة)إلى الدراسات النظرية؛ فاستخدم في ميدان (النقد الأدبي)، واستعمل كذلك في (دراسة الأديان) على يد الراهب (روبرت لوث)[٢]، فقد حلل في ضوئه فقرات من التوراة[٣]، جدير بالذكر أن مفهوم (التوازي) تم اكتشافه في عديد النصوص الشرقية القديمة[٤].

فمصطلح التوازي في ميدان الفكر يعني الاتحاد في الوضع(الأصل) بين

---

(١) معجم اللغة العربية المعاصرة: أحمد مختار عبد الحميد عمر بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب (بيروت) أولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م، ج ٣ص ٢٤٣٤- المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية مصر، ط دار الدعوة (القاهرة) بدون تاريخ، ج ٢ ص ١٠٣٠

(٢) روبرت لوث؛ أسقف وأديب وناقد إنجليزي، اشتهر بتحليلاته لمتوازيات الشعر العبري، في تحليله لسفر (إشعياء) توفي عام ١٧٨٧م الموسوعة البريطانية على الإنترنت https://www.britannica.com/biography/Robert-Lowth تاريخ الزيارة ٢٩/ ١٠ / ٢٠٢٤م الساعة ١٠ مساءا

(٣) يراجع/ التشابه والاختلاف نحو منهاجية شمولية: محمد مفتاح، ط المركز الثقافي العربي (بيروت) ص ٩٧.

(٤) يراجع/ البديع والتوازي: عبد الواحد حسن الشيخ، ط مكتبة الإشعاع (الإسكندرية – مصر) ط ١ ١٩٩٩م، ص ١١

فكرتين، مع عدم التلاقي والتأثير والتأثر بينهما[١]، أو بعبارة أخرى:" التوازي يعني نوعا من التشابه، فلا تطابق تام، ولا تمايز مطلق، وفيه يكون التكرير غير كامل"[٢].

تعريف قصة الإسراء والمعراج:

الإسراء والمعراج رحلة أرضية سماوية، نقل الله – تعالى – فيها نبيه وعبده سيدنا محمداً ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، حيث جمع له الأنبياء وصلى بهم إماما؛ تعبيراً عن أن دين الإسلام هو الصيغة النهائية لهدي الله – تعالي– لعباده، وخاتمية الأنبياء بالنبي العربي ﷺ، وانتقال القيادة الدينية من بني إسرائيل إلى العرب[٣].

ثم عرج الله – تعالى – بنبيه سيدنا محمد ﷺ إلى السماوات، وما زال يرتقى به إلى أن وصل إلى سدرة المنتهى، وفرض الله – تعالى – عليه الصلاة خمسين ثم خففت إلى خمس في العمل وخمسين في الأجر، وقد شاهد النبي ﷺ مشاهد عديدة لخصت كثيرا من المفاهيم الدينية وحقيقة الدنيا، وانتهت الرحلة، وأعيد النبي ﷺ إلى فراشه وهو مازال دافئا، وكان (البراق) هو وسيلة الرحلة في الإسراء على الصحيح، وفي المعراج بوسائل أخرى[٤]، وقد أعطى النبي ﷺ لقريش المكذبة بهذه المعجزة أدلة على صدقه؛

---

(٥) يراجع/ موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني، ط مكتبة لبنان ناشرون – بيروت أولى – ١٩٩٦م، ج ٢ ص ١٦٦٦

(٢) رسائل ابن حزم – دراسة في رسالتي (طوق الحمامة وفي مداواة النفوس أنموذجا) دراسة في نحو النص: حنان سعادات عودة، ط دار الآن ناشرون وموزعون (عمان – الأردن) ط ١ ٢٠١٥م، ص ١٣٤.

(٣) يراجع/ فقه السيرة: محمد الغزالي السقا، ط دار القلم (دمشق) أولى، ١٤٢٧ هـ، ص١٤٠ –١٤١.

(٤) يراجع/ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، تحقيق/ علي عبد الباري عطية، ط دار الكتب العلمية – بيروت أولى، ١٤١٥ هـ، ج ٨ ص ١١

فقد وصف لهم المسجد الأقصى الذي كانوا يزورونه في أثناء تجاراتهم، ووصف لهم قافلة قرشية عائدة إلى مكة وصفا لا يصدر إلا ممن رآها بوضوح(١).

وقد قص الله علينا خبر هذه الرحلة في سورتي (الإسراء والنجم)(٢)، وفصلت الأحاديث النبوية أحداث هذه الرحلة في أحاديث كثيرة بلغت مرتبة التواتر المفضي إلى اليقين بصدقها(٣).

والإيمان بالإسراء والمعراج جزء مما يجب على المسلم الإيمان به من المعجزات والغيبيات(٤)، ولا عبرة بما ورد عن تعدد حادثة الإسراء أو كونها كانت بالروح،" فالحق: أنه إسراء واحد، بروحه وجسده يقظة، في القصة كلها. وإلى هذا ذهب الجمهور من علماء المحدثين والفقهاء والمتكلمين وتواردت عليه ظواهر الأخبار الصحيحة، لا ينبغي

(١) يراجع/ السيرة النبوية لابن هشام: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، ط شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ثانية، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥ م، ج ١ ص ٣٩٦ وما بعدها - ويراجع كذلك/ خاتم النبيين ﷺ: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة، دار الفكر العربي - القاهرة ١٤٢٥ هـ، ج ١ ص ٤١٦- وكذلك/ قصة الإسراء والمعراج: نجم الدين الغيطي، شرح/ سيدي احمد الدردير، ط المكتبة الأزهرية للتراث (القاهرة) ١٩٩٩م، ص ٢٦ وما بعدها

(٢) سورة الإسراء الآية ١ – سورة النجم الآيات ١: ١٨

(٣) وقد ساق الإمام ابن كثير جملتها عند تفسيره لسورة الإسراء تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تحقيق/ سامي بن محمد سلامة، ط دار طيبة للنشر والتوزيع ثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م، ج ٥ ص ٦ وما بعدها.

(٤) حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار: محمد بن عمر بن مبارك الحميري الحضرمي الشافعي، الشهير بـ «بَحْرَق»، تحقيق: محمد غسان نصوح عزقول، ط دار المنهاج – جدة أولى - ١٤١٩ هـ، ص ٢١٧

العدول عن ذلك، إذ ليس في العقل ما يحيله."[1]

أساطير الصعود السماوي: نقصد بها تلك القصص التي تدور حول صعود إنسان ما إلى السماء، والأسطورة لا تعنى الخرافة كما هو معلوم، وقد وردت أمثال هذه القصص في كثير من الأديان والثقافات – كما سنرى – وصيغت في قالب أدبي يغلب على أكثرها خصائص الأسطورة التي نبينها فيما بعد.

(١) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية: أبو عبد الله محمد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن شهاب الدين بن محمد الزرقاني المالكي، ط دار الكتب العلمية أولى ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، ج ٨ ص ١٣ – ويراجع/ البشرى بأخبار الإسرا والمعراج الأسرى: أحمد بن إسماعيل الحلواني، ط مطبعة محمد أفندي مصطفي (القاهرة) ١٣٠٨هـ، ص ٣ – وقد وردت قصة الإسراء والمعراج في صحيح البخاري كتاب التوحيد – باب (وكلم الله موسي تكليما) – حديث رقم ٧٥١٧، وفي صحيح مسلم كتاب الإيمان باب الإسراء برسول الله ﷺ حديث رقم ٢٥٩

المسألة الثانية

مصادر صور التوازي والاختلاف بينها وبين مصدر الإسراء والمعراج

من المعروف أن مصادر معرفتنا بأساطير وقصص الصعود السماوي ترجع إلى مصدرين: (الأساطير القديمة، الكتاب المقدس بعهديه إضافة إلى التلمود)، وتكتنف المعرفة المقتبسة عن هذه المصادر صعوبات جمة ومبالغات لا يمكن أن يثق الباحث المنصف فيها ثقة مطلقة، ويمكن بيان ذلك فيما يلي:

أ - **الأساطير:** الأسطورة بصفتها قصة تحاول تفسير المظاهر الكونية، أو تخبر عن بطل أو حادثة تاريخية، يشوبها بعض العقبات التي تقلل من مصداقيتها وتاريخيتها في نفس الوقت يمكن إجمالها فيما يلي:

١- التصور المادي البحت، الذي لا يجد غضاضة في تصوير المعاني السامية في صورة مادية فجة، مع كثير من المبالغات.

٢- التداخل بين الفعل الإلهي والفعل البشري، بحيث تنعدم الحدود ليصير الأبطال آلهة بمرور الزمن.

٣- ارتباط الأساطير – غالبا- بطقوس أسطورية يجري فيها استعادة الأسطورة وجوديا؛ عبر إعادة تحيين الأسطورة واستعادة أحداثها طقوسيا مرة أخرى، مما يجعلها عرضة للتحوير والتغيير، وإضافة مزيد من الحبكات التي تجذب العوام.

٤- من الممكن الوصول عبر تحليل المحتوى لطبقات من الأسطورة، تتميز فيها (أصل الحكاية)، والإضافات اللاحقة عليها، مما يجعل استخلاص الأصل خاضعا لثقافة وميول وترجيحات الدارس، ما يقلل الثقة في المعارف المكتسبة منها.

٥- اندراس كثير من الأساطير التي تتكامل مع الموجود فعلا لبيان الحقيقة، ومقدار المبالغات في الأساطير، فمثلا قامت المسيحية المنتصرة في كثير من البلاد، مثل الأمريكتين

مثلا؛ بإعدام تراث الأمم الأمريكية، بالإضافة إلى ذهاب الثقافة المحكية بالقضاء على السكان الأصليين في هذه البلاد وغيرها، بالإضافة للعوامل الطبيعية التي أدت لفقدان كثير من الكتابات التي كانت تدون على مواد (طينية كما في التراث العراقي القديم مثلا، أو ورق ولفائف كما في مصر، أو سجلات حجرية ونقوش ورسوم).

٦- التلاعب الذي تم في أصول الأساطير عبر الترجمات المتحيزة التي حاول من خلالها الغربيون إثبات السمو المسيحي الغربي على بقية أمم العالم قديما وحديثا، وقد كان هذا الفعل من ضمن استراتيجيات إدارة الصراع مع الوثنيات والمستعمرات، من رجال الدين والمستعمرين على حد سواء، وكذلك الغموض الذي ما زال يلف كثيرا من النصوص، ما يجعل التخمين في كثير من الأحيان هو الأداة الوحيدة لفهم معناها.

٧- ارتباط الأساطير بالحاجة الحضارية للأمم والطابع الغالب عليها، ما يجعل استقاء معلومة تاريخية موثوقة من الأساطير عملية محفوفة بكثير من المخاطر من الوهم والظن والوقوع تحت تأثير الشائع من الأفكار.

٨- تعرض الأساطير للتحور والاندماج في الثقافات المحلية، جعل تكرار الأسطورة الواحدة لا يعبر بيقين عن تعدد الحادثة، بل غالبا هي صدى للحادثة الأولى، ويصعب تحديد الأصل الذي صيغت بقية الأساطير على منواله[١].

ولا يمكن الاعتماد على الأسبقية الزمنية، فمن المعروف أن الأفكار تتلاقح فيحدث القديم معلوماته من الحديث وهكذا، وليست الأسبقية الزمنية مرجحا كافيا لتحديد الأصل.

---

(١) يراجع/ معجم الأساطير: ماكس شابيرو – رودا هندريكس، ترجمة/ حنا عبود، ط منشورات دار علاء الدين (دمشق) ثالثة ٢٠٠٨م، ص ٧: ١٤ – وكذلك/ الأساطير: أحمد كمال زكي، ط دار الكتاب العربي (القاهرة) ١٩٦٧م، ص ٤: ٦ وكذلك ص ٤٧ وما بعدها.- وكذلك/ الأسطورة والمعنى دراسات في الميثولوجيا والديانات المشرقية: فراس السواح، ط دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، ط ١ ٢٠٠١م، ص ١٢ وما بعدها.

٩- الاختلاف الكبير بين العلماء المعاصرين المهتمين بالأساطير في تفسيرها، والإطار الذي تفهم من خلاله، فبعضهم فهمها في الإطار النفسي، وبعضهم فهمها في الإطار الاجتماعي، وبعضهم فهمها في الإطار السحري وهكذا، ومع تعدد هذه الأوجه، لا يمكن البت بيقين حول دلالة هذه الأساطير الحقيقية(١).

كل هذه الملاحظات تجعل الاعتماد على الأساطير كمصدر معرفى مستقل يشوبه كثير من المجازفة.

هذه الخصائص الأسطورية تختلف اختلافا بينا عن القرآن والسنة، ذلك أن إخبارات الكتاب والسنة؛ تقوم على الواقعية التاريخية، ولا تحتفل بالتفاصيل – غالبا- بل تركز على العبرة والعظة، مع الخلو من المبالغات، والتمايز التام والواضح بين الفعل الإلهي والفعل البشري، مع بقاء أصلها دون تحريف، ولا ترتبط بمزاج الأمة واحتياجاتها، بمعنى أنها لا تظهر فيها الصنعة البشرية بل هي فوقية تعبر عن معايير ينبغي التزامها للوصول لصورة مثالية بدرجة كبيرة؛ ومن خلال ما سبق يمكننا الحكم بأن مصادر الإسراء والمعراج (القرآن والسنة)؛ متمايزة في خصائصها ومختلفة في آداءها ومحتواها عن الأساطير، وقد حكى القرآن شبهة قديمة متجددة عن تشابه مزعوم بين القرآن والأساطير، وبين أن خصائص وبنية كل منهما لا تثبت هذا الادعاء، فقال – تعالى –: ﴿ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ۝٥ قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ۝٦ ﴾ [الفرقان: ٥ – ٦]"،

(١) من الكتب التي تناولت هذا الجانب بتفصيل كتاب/ الأسطورة مقدمة قصيرة جدا: روبرت إيه سيجال، ترجمة/ محمد سعيد طنطاوي، مراجعة/ إيمان عبد الغني نجم، ط دار هنداوي (القاهرة) ٢٠١٤م، ص ١١ وما بعدها.- ويراجع في نقد الأسطورة كمرجعية معرفية لبناء تاريخ ديني منهج مرسيا الياد في دراسة الأديان – دراسة تحليلية (رسالة ماجستير): أحمد رضا عبد الحميد، إشراف أد/ محمد محمد كركور، قسم الأديان والمذاهب – كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة (مخطوطة) ٢٠١٩ م، ص ٣٨ – ٣٩

فالقرآن يختلف عن الأساطير من جهتين: مصدره الإلهي الخالص، واشتماله على الحقائق المطلقة الناصعة، التي لا يحيط بها إلا الله، ومبلغه أمين في بلاغه(١).

ب - الكتاب المقدس: يعتبر سجل حافل للتراث العالمي القديم (خاصة الشرقي منه)، فقد جمع – باعتراف كثير من الكتاب المسيحيين – بإلهام من الله، بلغة وأحداث بشرية، " تم استكمال العهد القديم ببطء على ما يزيد على ألف عام، واشترك في كتابته كثيرون من الكتاب الموحى لهم – حسب زعمهم–، والمحررين والكتاب وغيرهم، وفي البداية كانت قصص الخليقة وعصور اليهودية المبكرة كانت تنتقل شفاها، وأخيرا بعد أن تطورت الأبجدية العبرية، بدأ تسجيل هذه القصص كتابة وغيرها من القصص، وشيئا فشيئا أخذت شكلها الموجود بين أيدينا الآن "(٢).

فقد سجل الكتاب بأيد البشر في فترات متطاولة "وقد سطرت أسفار الكتاب المقدس أنامل بشرية بوحي من روح الله في أحوال متباينة وفي عصور متباعدة.."(٣).

وبالتالي فالكتاب المقدس ليس مصدرا موثوقا تماما للتاريخ، بل هو تجميع للتراث السابق على مدار سنين عديدة، ومن ثم فإخباره عن حادثة تشوبها المبالغة في كثير من الأحيان، والعنصرية في أحيان كثيرة أخرى، ولكنه في النهاية يمكن أن يكون قد احتفظ ببعض أصله

---

(١) يراجع/ التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر – تونس ١٩٨٤ هـ، ج ١٨ ص ٣٢٦

(٢) تاريخ الكتاب المقدس منذ التكوين وحت ياليوم: ستيفن م. ميلر – وروبرت ف. هوبر، ترجمة/ وليم وهبة – وجدي وهبة، ط دار الثقافة (القاهرة) ٢٠٠٨م، ص ١٠

(٣) المدخل إلى الكتاب المقدس: حبيب سعيد، ط دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية بالقاهرة بالاشتراك مع مجمع الكنائس في الشرق الأدنى، بدون تاريخ، ص ١٦، ويراجع/ وحي الكتاب المقدس: يوسف رياض، ط مكتبة الإخوة (القاهرة) ٢٠٠٨م، ص ١٤.

الإلهي؛ ففيه الصدق وفيه الكذب وفيه المسكوت عنه- في شرعنا- [١]

والتلمود هو الآخر صنعة بشرية دون عبر آلاف السنين، بيد مئات من اليهود، تحت ظروف مختلفة[٢].

وهذا ما يخالف تماما النص القرآني بل والنبوي في جزئه المتواتر والصحيح، فقد احتفظ بصورته التي نزل عليها من عند الله تعالى[٣]، وبالصورة التي نطق بها النبي ﷺ الأحاديث، ولم يتعرض للتغيير ولا للتحريف، وهذا ليس حكما عاطفيا إيمانيا؛ بل احتوى القرآن من الخصائص ما يدعم إلهيته[٤].

مما سبق يتضح أن مصدري قصص الصعود السماوي لا ثقة مطلقة فيهما، بل لابد من الحذر في التلقي عنهما، لاحتمال الكذب والمبالغة، أو السطو على ما عند غيرهم، وفي نفس الوقت لابد من بناء قناعة أن هذين المصدرين يحملان في طياتهما تراثا إنسانيا تأثر لا شك بما سبقه أو لابسه وعاصره من الدين الإلهي.

---

(١) يراجع/ فيض القدير شرح الجامع الصغير: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي، ط دار الكتب العلمية بيروت – لبنان الطبعة الاولى ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م، ج ٣ ص ٤٩٩

(٢) يراجع/ موسوعة الدين المقارن: نبيل فياض، ط الدار اللبرالية (برلين – ألمانيا) بدون تاريخ ولا رقم الطبعة، ج ١ ص ٢١ وما بعدها

(٣) يراجع/ المدخل لدراسة القرآن الكريم: محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة، ط مكتبه السنة – القاهرة ثانية، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م، ص ٣٨٦ وما بعدها.

(٤) يراجع/ النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم: محمد بن عبد الله دراز، اعتنى به: أحمد مصطفى فضلية، قدم له: أ. د. عبد العظيم إبراهيم المطعني، ط دار القلم للنشر والتوزيع ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م، ص ٤٩ وما بعدها.

المبحث الأول

صور التوازي بين الإسراء والمعراج وأساطير الصعود السماوي

المطلب الأول

الصعود في الأساطير المصرية القديمة

ملخص أسطورة صعود (مانيتون)[1]:

١- كان (مانيتون) في الإسكندرية في معبد (سرابيس- معبد وثني)، وبعد أن أكل من وليمة القرابين، وشرب خمر (البلح – والعنب)، ونام منفردا في حجرة كبير الكهنة.

٢- أيقظه الإله (حورس)، ومعه (إيزيس) التي ربَّتَت على كتفيه، وطمأنه (أوزير) بأن هذه الزيارة ليست نهايته، وقدَّم له (جبار) مساعد الإله (رع)، الذي حمله على ظهره، وطار بأجنحته الذهبية إلى السماء، حتي انتهي إلى (الجميزتين المقدستين)، عند بداية الطريق السماوي، وخلع (جُبَار) أجنحته الذهبية، وأعطاها (لمانيتون)؛ فطار بها بلا إرادة منه، حتي وصل إلى (قدس الأقداس)، وانفتحت الأبواب النحاسية السبعة بابا فبابا حتي وصل إلى طريق العرش، حتي فتح له الباب الزمردي، فرأى العرش، ووصفه، ووصف الجالس على العرش، (كأنه الذهب ممزوجا بالياقوت واليشب والزبرجد)، فخر ساجدا له.

٣- وصف ما رآه حول العرش من عروش الأرباب والملائكة الذين يكونون

---

(١) مانيتون السمنودي: كاهن ومؤرخ مصري، عاش في القرن الثالث قبل الميلاد، كان كبير الكهنة في عصر (بطلميوس الأول)، نسب إليه تاريخ للأسرات الحاكمة في مصر القديمة عرف (إيجبتاكا)، وتاريخ للأسطورة المصرية وبدايات الحضارة المصرية عرف (إيجيبتانا) يراجع/ قراءة لرؤية مانيتون السمنودي للثقافة المصرية القديمة: هالة أبو الفتوح أحمد، مجلة وادي النيل للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية والتربوية مجلة علمية محكمة - – عدد ٣٣ – ٢٠٢٢م، ص ٤٢٠ – ٤٢١

(التاسوع المقدس)، من شموس وحيوانات وتسبيح وغناء أمام العرش الإلهي[١].

٤- قدم (مانيتون) الغرض من رحلته في هيئة خطاب من قبل الرب صاحب العرش الأعظم، فمدح الرب المصريين، ووصف أرضهم بأنها أرض الآلهة، وأنهم أقرب الشعوب إلى الآلهة، وأبلغ الرب مانيتون بأنه مكلف بكتابة (أسفار التطوين المصرية إيجبتانا)، وعزى الرب (مانيتون) عن نهب الآثار المصرية وإتلافها، وفعل الهمج فيها[٢].

٥- ويقول مانيتون عن حالته بعد العودة من الرؤيا:" عدت – أنا مانيتون- من الرؤيا..، ولكن ظلت تلك الرؤيا بقلبي..وتأكد اعتقادي بأن ما يقوله الإغريق عنا – نحن المصريين – حق..فنحن عند الإغريق مدرسة العالم ومعبده القيم والضمير.. صحوت من نومي..وعجبت إذ رأيت بجواري على الفراش مجموعة من الريشات المشذبة المعدة للكتابة ووعائين أحدما للمداد الأسود والآخر للمداد الأحمر، وعدة إضمامات من البردي، وتذكرت أن (رع) في آخر (الرؤيا) كلف أحد معاونيه من التاسوع بأن يعطيني الأدوات الكافية لكتابة (الجيبتانا) "[٣]

يلاحظ على صعدة (مانيتون) ما يلي:

١- وجود دافع نفسي عميق للدلالة على تميز أبناء جلدته على غيرهم.

---

(١) يراجع/ الجبتانا – أسفار التكوين المصرية: مانيتون السمنودي، برواية الراهب/ أبيب النقادي، جمع وترتيب/ علي علي الألفي، ط دار روافد للنشر والتوزيع (القاهرة)أولي ٢٠١٠م، ص ٣٣ – ٣٤ – والنص من ص ٣٣- ٣٤

(٢) المرجع السابق، ص ٣٥

(٣) الجيبتانا: مرجع سابق، ص ٣٧ – والجيبتانا كتاب يحكي قصة الخلق وأصول الحضارة المصرية القديمة، وقد اعتبر مقدسا لدى كثير من المصريين القدماء، نقله مانيون المصري ودونه يراجع/ الجيبتانا: ص ٧

٢- شربه الخمر قبل النوم، ونومه منفردا، يمكن أن يؤثر في مصداقية الرؤيا التي رآها.

٣- الإغراق في التوصيف المادي للحضرة الإلهية، والتجسيم الواضح، وصبغ الرؤيا بالمعتقد الكهنوتي الوثني الذي ساد في هذه العصور.

٤- هناك بعض الإشارات التي تقترب من الرواية الإسلامية خاصة عن (وسيلة الانتقال، الجميزتين المقدستين، جبار وعدم تقدمه عند بلوغ الجميزتين)، مع الاختلاف البين في النزعة الوثنية لدى (مانيتون).

٥- ارتباط الرحلة بغرض تعليمي (كتابة أسفار التكوين المصرية).

٦- وجود آثار مادية ذكرت مانيتون برؤيته، ونفت أن تكون وساوس شيطانية له.

٧- ولكن الملاحظة الجوهرية أن الراوي (للأيجبتانا) مسيحي متأخر، فمن الممكن أنه عدل الرواية وفقا لما سمعه من المسلمين المعاصرين له، إثباتا لأفضلية قومه وقناعته بأسبقية الحضارة المصرية القديمة فكريا وثقافيا بل ودينيا، وأنهم الأصل الذي أخذت عنه الأديان اللاحقة؛ خاصة أنه كان من المهتمين بالدور الإنساني في الدين، وأن اليهود قد سطوا على الآثار والحكمة المصرية القديمة ونسبوها لأنفسهم[١].

وبالتالي فلا يوجد تطابق بين (صعود مانيتون) وبين (الإسراء والمعراج).

(١) المرجع السابق، ص ٢٣- ٢٤ مقدمة المحقق.

المطلب الثاني

الصعود في الأساطير السومرية والبابلية

وقد ظهرت أسطورة الصعود السماوية في الحضارة العراقية القديمة في شخصيتين:

أولا: أسطورة (أدابا)[1]

كان (أدابا) يسكن في مدينة (أريدو) في أقصى جنوبي كلدة على ضفاف الخليج العربي، وكانت هذه المدينة ضمن ممتلكات الإله (أيا إله البحر)، ولم يكن (أدابا) يشغل مكانا رفيعا بين الكهنة، بل كان يصنع الخبز، ولكن (أيا) رضي عنه وعلمه من علمه، حتي أصبح (أدابا) أسمى مكانة من غيره، وكانت هوايته الصيد، فمرت عليه رياح الجنوب (شوتو) فأغرقت قاربه؛ فغضب منها، ودارت بينهما معركة أدت إلى أن كسر(أدابا) أجنحة (شوتو)، وخلال سبعة أيام لم تهب(شوتو)، وهو ما أثار حفيظة (آنو)، فسأل أعوانه عن ذلك؛ فأخبروه الخبر، فبعث مبعوثا يأتي (بأدابا) لأرجل العرش، ولم يخبر عن كيفية الصعود، ولم يستطع (أيا) أن يمنع عدالة(آنو) فأوصي عبده (أدابا) بالحذر من الشراك التي ستنصب له، وألا يأكل أو يشرب عند (آنو) وأن يكتفي بالمسح من الزيت ولبس ثوب سيقدم له، وهو ما أغضب (آنو)، بعد أن كان قد تظاهر بقبول أعذار (أدابا) والرضا عنه، فقام بطرد (أدابا) وأمر أتباعه أن يلقوه على الأرض بعد أن رفض الطعام والشراب الذي كان سيجلب له الخلود[2]، وقد رضي عنه (آنو) بعد ذلك ومنحه القدرة على شفاء الأمراض بمساعدة (إلهة الشفاء) خاصة

---

(١) آدابا شخصية أسطورية سومرية قاموس أساطير العالم: آرثر كورتيل، ترجمة/ سهى الطريحي، ط دار نينوى (دمشق) ٢٠١٠م، ص ١٧

(٢) يراجع/ أساطير بابل وكنعان: شارل فيروللو، تعريب/ ماجد خير بك، مراجعة/ هاني الخير، ط مطبعة الكاتب العربي (دمشق) ١٩٩٠م، ص ٢٨ – ٢٩ – ٣٠.

الأمراض التي تسببها ريح الجنوب[١].

ويلاحظ على هذه الأسطورة ما يلي:

١- أن (أدابا) كان إنسانا عاديا، ولكنه تم اصطفاؤه وتعليمه من الإله (أيا).

٢- استعان (أدابا) بقدرته التي منحه إياها (أيا) على كسر جناح ريح الجنوب.

٣- كانت هذه القدرة الخارقة سببا في استدعاءه إلى السماء عبر رسول (آنو)، ولم تبين الأسطورة وسيلة نقله من الأرض إلى السماء.

٤- لما علم (آنو) بقدرات (أدابا) عرض عليه الخلود والالتحاق بالآلهة بالأكل والشرب المقدس الذي يساعد على اكتساب الخلود.

٥- لم تبين الأسطورة طريقة الصعود إلى السماء.

ثانيا: أسطورة (إيتانا)[٢]

وقد كان (إيتانا) ملكا صالحا، وكان يخدم (نسرا)، بعد أن سلط (شمش) (الحية) على (النسر) فنزعت ريشه بعد أن حنث في اليمين الذي حلفه أمام (شمش) بالحفاظ على صغار الحية؛ فطلب منه (النسر) أن يطلب مكافأة،؛ فطلب (إيتانا) من (النسر)أن يرفعه إلى السماء، وعشبة تسهيل الولادة لاحتياج امرأته له للحمل، فوافق (النسر) وتعلق (إيتانا) (بالنسر)، ولم يستطع (إيتانا) أن يخفي دهشته من المناظر الأرضية؛ فقد رأىكل شيء صغيرا، ووصلا إلى سماء (آنو)، وبعد أن استراحا وواصلا الطيران، ولكن سقط (إيتانا) ثلاث مرات وفي كل مرة يلتقطه (النسر)، وفي النهاية نزل

(١) يراجع/ ديوان الأساطير – سومر وآكاد وآشور (الآلهة البشر): ترجمة/ قاسم الشواف، تقديم/ أدونيس، ط دار الساقي (بيروت) أولى ١٩٩٧م،ج٢ ص ٤٧٨

(٢) ملك من الملوك السومريون القدماء، ديوان الأساطير – سومر وآكاد وآشور (الآلهة البشر): مرجع سابق، ج ٢ ص ٤٨٧: ٥٠٦

(إيتانا) إلى الأرض، وقد تكون (عشتار) أعطته (عشبة الولادة)وحملت زوجته[1].

ويلاحظ على أسطورة (إيتانا) ما يلي:

١- أن صعود (إيتانا) كان بمبادرة من (إيتانا)، فصعوده بناء على رغبته الخاصة.

٢- استعمل سببا أرضيا (النسر).

٣- حصل نقص في النص تسبب في فقدان كثير من التفاصيل التي أدت (بإيتانا) للسقوط.

٤- الغرض من الصعود كان دنيويا بدرجة كبيرة؛ فقد كان غرضه مداواة زوجته، والإنجاب للحفاظ على السلالة الملكية.

مما سبق يتضح أنه لا يوجد تطابق بين (أساطير الصعود العراقية [أدابا – إيتانا]) والإسراء والمعراج.

(١) أساطير بابل وكنعان: شارل فيروللو، مرجع سابق، ص ٣٠ – ٣١ – ويراجع النص كاملا في كتاب/ أساطير بابلية: ريتشارد بريتشارد، ترجمة/ سليمان التكريتي، ط مطبعة النعمان (النجف – العراق) ١٩٧٢م، ص ٨١: ٩٠.

المطلب الثالث

الصعود في الفكر اليهودي

نلحظ من خلال الفكر اليهودي المستمد من (التناخ)[١]، أو من التلمود (خاصة قصص الهاجادا[٢]، نلحظ وجود مجموعة كبيرة من الصاعدين إلى السماء منهم:

أولا: أنــوش[٣]

وقد صعد أنوش – بحسب القصص اليهودي – أكثر من مرة إلى السماء، ولكن في ذات مرة، نام حزينا، فجاءه ملكان وبشراه بأنه سيصعدانه إلى السماء، لئلا يبحث عنه أبناؤه حتى يعود إليهم، ووصى أبناءه وخدمه إلا يلتفتوا عن الرب، وحمله الملكان على جناحيهما، ووضعاه فوق السحاب الذي ارتفع به حتى السماء الأولى؛ حيث رأى الملائكة المائتين الذين يحكمون النجوم وخدامهم السماويين، كما رأى مخازن الثلج والسحب والندى، ثم في السماء الثانية رأى الملائكة المخطئين، وفي السماء الثلاثة رأى الجنة وما فيها من نعيم، ورأى الملائكة الثلاثمائة الذين يرعون الجنة، وفي السماء الثالثة رأى النار وملائكة العذاب، وفي السماء الرابعة رأى كل ما يدخل وما يخرج من وإلى السماء، والملائكة الذين يقومون على أمر الشمس، ويوقدون تحتها، ورأى البوابات الست التي تخرج منها عربة الشمس في شرق السماء الرابعة، وفي الخامسة

(١) الاسم العبري للعهد القديم "التناخ" ويتكون من (التوراة – أسفار الأنبياء – والأسفار التاريخية) راجع للمزيد الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام: على عبد الواحد وافي، ط دار نهضة مصر(القاهرة) أولي ١٩٦٤م، ص ٢٧.

(٢) الجزء القصصي من التلمود يراجع/ موسوعة الدين المقارن: نبيل فياض، ط الدار الليبرالية (برلين – ألمانيا) ٢٠٢٠م، ج ١ ص ٢٢

(٣) أنوش: بمعني (زائل) وهو ابن شيث وحفيد آدم، والاسم يدل على أنه الإنسان ضعيف وزائل... يراجع/ دائرة المعارف الكتابية: مجموعة من ذوي الاختصاص، تحرير/ صموئيل حبين وزملاؤه، ط دار الثقاة (القاهرة) بدون تاريخ، ج ١ ص ٥٠٢

رأى أفواج الملائكة (الجيرجيوري) وهؤلاء نبذوا الرب ووبخهم (أنوش) على ذلك، وفي السماء السادسة رأى الملائكة الموكلين بتدبير النجوم، وأمر الكائنات في الكون كله، وفي السابعة رأى الأسراب النارية للملائكة الكبار، وأراه الملائكة المرافقون له (الرب)(!!!) من بعيد جالسا على عرشه العلي، وأمامه عشر طبقات من الملائكة يغنون ويسبحون ويخدمون الرب، وتخلى عنه الملائكة المرافقون له، ووقف عند الحدود الخارجية للسماء السابعة، حتي جاءه (جبريل) وأخذه ليقف بين يدي الرب، وعندما وقف بين يدي الرب؛ أمر ميكائيل أن يمسحه بالزيت، وأمر (الرب) الملك الحكيم أن يحضر كتبا من مخزن (الرب) (!!)، وأن يحضر قلما (لأنوش) حتي يفسر ويكتب عن السماء كل ما ينبغي أن يتعلمه، وكتب (ثلاثمائة وستة وستين كتابا، وكشف (الرب) له أسرار عظيمة، وكشف له عن خطيئة (آدم)، وأن العالم سيدوم سبعة آلاف عام، وأرسل إلى الأرض ليعلم أولاده هذا العلم الإلهي،وبعد ثلاثين يوما بعث (الرب) ظلمة على الأرض، وحمل إليه (أنوش) ووضعه أمام وجهه[١]، ووردت رواية أخرى للقصة أخبرها (أنوش نفسه) للربي (إسماعيل)[٢] تختلف في تفاصيل كثيرة عن الرواية الأولى، وقد تحول في النهاية (أنوش) إلى طبيعة ملائكية تحت اسم (ميتاترون) وسماه (الرب) بالرب الصغير، ويسجد له أمراء السماء[٣].

(١) أساطير اليهود: لويس جنز برج (العالم التلمودي الشهير)، ترجمة/ حسن السماحي، ط دار الكتاب العربي (دمشق) أولى ٢٠٠٧، ج ١ ص ١٣١: ١٣٦ ملخصا.

(٢) الرابي إسماعيل: عالم تلمودي لم أعثر له على ترجمة.

(٣) يراجع/ أساطير اليهود: مرجع سابق، ج ١ ص ١٣٧: ١٣٩

ثانيا: أخنـوخ[١]

وصعدته تشبه إلى حد ما صعدة (أنوش)، غير أنه صرح بأنه رآها في منامه، وأنه رأى أكثر من رؤية، جاء في سفر أخنوخ الأول:" رأيت في أحلامي ما أقوله الآن بلساني مع نفس فمي الذي أعطاه العظيم للبشر ليتكلموا بفهم.."[٢] وكانت فاتحة الرؤى حين طلب منه الملائكة الخاطئون أن يستشفع لهم عند الرب، وفي رؤيته رأى كثيرا من المشاهد منها (رؤية المساكن الإلهية – مقابلة الرب والكلام معه بشأن الملائكة الخاطئين– رؤية عوالم عجيبة من أنهار ونيران ومستودع الكواكب والبروق، وفسرت الظواهر الكونية كغروب الشمس بصورة بدائية، ومخازن الرياح، وما خلف حدود الأرض العظيمة حيث ستطوى السموات، وموضع انتهاء السماء والأرض، وسجن الكواكب).

وفي رؤيته الثانية: رأى جحيم الملائكة، وجحيم الكواكب، وموضع الأرواح قبل الدينونة، ونار الغرب، والجبال السبعة وشجرة الحياة، والتمثيل السماوي لأورشليم والجحيم، وأرض الأطياب، وشجرة المعرفة، وأبواب السماء)[٣]

ثالثا: موسي عليه السلام

وملخص صعوده الأول أنه في مناجاته الأولى مع الرب أمره الرب أن يذهب إلى أرض (مصر) ليخرج منها بني إسرائيل، فقال للرب: " ومن أنا حتي أخرجهم " فكافأه

---

(١) أخنوخ: اسم عبري ومعناه (مكرس) أو (محنك)، ولفظ الاسم في الأصل العبري هو نفس الاسم (حنوك) في الترجمة العربية، وابن يارد وأبو متشالح، وهو السابع من آدم يراجع/ قاموس الكتاب المقدس: نخبة من ذوي الاختصاص، تحرير/ بطرس عبد الملك، ط دار الثقافة (القاهرة) ط ١ ١٩٩٥م، ص ٣٢ .

(٢) أخنوخ سابع الآباء (كتاب أخنوخ الأول وأسرار أخنوخ وأخنوخ الثاني): الخوري بولس الفغالي، ط الرابطة الكتابية (بيروت) أولى ١٩٩٩م، ص ٣٩

(٣) يراجع/ المرجع السابق، ص ٤٣: ٥٧

الرب على تواضعه بقوله:" أنت متواضع يا موسي وسوف أكافئك على تواضعك..سأضع أرض مصر كلها بين يديك، كما سأرفعك إلى عرش مجدي فتنظر من فوقه جميع ملائكة السماء "، وقد أمر الرب ملاك الوجه (ميتاترون) بقيادة موسي في المناطق السماوية وسط الموسيقى والأناشيد، وأحاط ثلاثون ألف ملاك كحرس خصوصي لموسي، وفي رعب سأل موسي (ميتاترون) عن حقيقته، فأخبره أنه (إينوخ بن جارد جد موسي)، وأخبره أنه مأمور بمرافقته إلى العرش الإلهي، وقد اعترض موسي عليه بأنه من لحم ودم، فحول (ميتاترون) طبيعة موسي إلى " فحول (ميتاترون) لحم موسي إلى شعلات من نار، وحول عينيه إلى عجلات (مركبة)، وحول قوته إلى قوة ملاك، ولسانه إلى لهيب.."[(١)].

وتقدم موكب موسي إلى السماوات، وصفت مشاهدات موسي في كل سماء كما يلي:

١- في السماء الأولى: رأى أنهارا فوق أنهار من الماء، ولاحظ تكوين السماء من نوافذ في كل منها ملائكة، وكل نافذة لها وظيفة؛ فهناك (نافذة القحط، ونافذة الوفرة، وتلك للغنى، وهذه للفقر.....

٢- وفي السماء الثانية: رأى الملائكة الموكلين بالسحب والرياح والأمطار، وقد خلقوا من الماء والنار، وعلى رأسهم (الملاك نورئيل)ومعه خمسون فوجا من الملائكة، وما إن ينتهوا من مهامهم الأرضية حتى يعودوا إلى السماء الثانية ليواصلوا حمد الرب.

٣- وفي السماء الثالثة: رأى موسي الملائكة الموكلين بالعشب يسمون (عريليم)، وقائدهم ملك طوله مسيرة خمسمائة سنة، وله سبعون ألف رأس، في كل رأس سبعون ألف فم، في كل فم سبعون ألف لسان، وكل لسان ينطق بسبعين ألف قول، ومعه سبعون ألف ملك يلهجون بالثناء على الرب.

---

(١) أساطير اليهود: مرجع سابق، ج ٢ ص ٢٧٤- ٢٧٥ ملخصا.

٤- وفي السماء الرابعة: وقد رأى فيها الملائكة الموكلون بالأرض والشمس والقمر والنجوم وغيرها من الأجرام السماوية، ورأى الزهرة ترقد فوق الشمس لتبرد من حرارتها، والمريخ يرقد فوق القمر ليبث فيها القمر الدفء وإلا لجمدت الأرض.

٥- وفي السماء الخامسة: رأى ملائكة نصفهم من الثلج ونصفهم من النار، لا شغل لهم إلا التسبيح.

٦- وفي السماء السادسة: رأى (عفان) أي الغضب، و(حما) يعني السخط؛ وهما ملكين طول كل منهما خمسمائة فرسخ، خلقا من النار السوداء والحمراء، وقد فزع موسي من رؤيتهما، ولكن ملاك الرب طمأنه، ورأى ملكا عظيما طوله مسيرة خمسمائة عام، كل جسده عيون، وهو(سماعيل) المكلف بقبض الأرواح، ورأى(السرافيم)، ورأى الحيوت المقدسة والتي تحمل عرش الرب، ورأى الملك (زجزاجيل) أمير التوراة، وهو من يعلم التوراة بسبعين لغة لأرواح البشر، وقد تعلم موسي من هذا الملاك الأسرار العشرة، ثم قال موسي للرب:" لن أغادر ما في السموات حتي تهبني هبة، فأجابه الرب:" سأهبك التوراة وسوف يسميها البشر (شريعة موسي)"[١]

ويلاحظ على الصعود في الفكر اليهودي ما يلي:

١- وجود تشابه كبير بين القصص الثلاثة مع الخطوط العريضة، مع اختلاف الثانية عن الأولى في الغرض، واتفاق الأولى والثالثة على الغرض التعليمي من الصعدة السماوية.

٢- لم تتعرض قصة (أخنوخ) للترتيب السماوي الذي ذكر في القصتين الأخريين، وعرضت بعض المشاهد (للجغرافيا المقدسة للسماء من جبال ووديان، ومدن، وأشجار وغيرها).

٣- انفردت قصة (أنوش) بالتحول الملائكي (لأنوش) بعد رفعه للمرة الثانية، بعد

(١) أساطير اليهود: لويس جنز برج، مرجع سابق، ج ٢ ص ٢٧: ٢٧٨.

آداء وظيفته التعليمية.

٤- القصص الثلاثة مليئة بالتشبيه والتجسيم الغليظ للرب، والمبالغات في وصف الطبيعة الملائكية في كثير من الأحيان، أظهرت القصص الثلاثة طبيعة اليهود، وعكست أخلاقهم؛ فمثلا في قصة موسي؛ لم يرض موسي بالرجوع إلى الأرض، حتي يعط بركة؛ فأعطي التوراة، ونسبت إليه (تعاليم موسي).

٥- الملاحظ أن القصص الثلاثة احتفظت بالفكرة الرئيسية (الصعود إلى السماء) من التقاليد النبوية التي شاعت بين الناس في كثير من العصور، وقد صاغ اليهود القصص الثلاثة بعد ذلك وفقا لغايات أخرى تظهر في القصص الثلاث، والمعنى الجامع لها؛ إثبات أفضلية اليهود وسماوية تعاليهم (التوراة) بل وحتي (التقاليد الشفوية) التي توارثوها عن (أنوش) وغيره من الآباء.

٦- لا يوجد شبه في غير المعنى العام بين هذه القصص الثلاثة، والإسراء والمعراج في الإسلام في الروايات الصحيحة، فقصة الإسراء والمعراج أكثر عقلانية وأدبا مع الله – تعالى –.

٧- لم أشر إلى صعود (إيليا) لأنه لم يرد فيه تفصيل لمرئياته السماوية، فهو مجرد صعود بعربة النار فقط [١].

مما سبق يتضح أنه لا يوجد تطابق بين قصص الصعود في الفكر اليهودي، وبين (الإسراء والمعراج).

(١) يراجع قصته في سفر الملوك الثاني.

المطلب الرابع

الصعود في الأساطير المانية والمندائية

أولا: الصعود عن المندائيين

جاء في (الكنزاربا) عن (دنانوخت)[1] أنه دخل عليه (دين مليخ الأثري) فهزه فأخرجه من جسده، ثم رفعته الريح حتي بلغ محطة (نياز هايلا) سيد الظلام، وهناك رأى ربوة من الطغام يخدمونه، وهم (دنانوخت) أن يسجد لسيد الظلام، ولكن مرافقه (دين مليخ) جذبه ونهاه، ثم رفعته الريح مرة أخرى حتي وصل إلى محطة (زان هازازبان) ملك الغضب الجبار، ربوات من الطغام يخدمونه، فهم (دنانوخت) أن يسجد فنهاه مرافقه، ثم رفعته الريح مرة أخرى حتي وصل إلى محطة (أيواث الروهة وقنانيت سم العقرب الخفي للظلام) حيث رأى نساء عليهن أكاليل الزنا يجذبن الناس، يخدمهم أناس كثيرون، فهم (دنانوخت)أن يسجد، فنهاه (دين مليخ)، ثم رفعته رياح حتي بلغ محطة (هيمون الرجل) يخدمه رجال؛ فهم أن يسجد فنهاه مرافقه، ثم ارتفعت به رياح ورياح حتي وصل إلى محطة (بثاهيل ناقض الضياء المقطوع عن النور)، وقد ادعى أما (دنانوخت) أنه هو الذي خلق الشمس والقمر بيده وهو لم يصنع شيئا، ثم رياح رفعته وسلالم وسلالم حتي وصل في دارة (أباثر العتيق السامي) وألوف حوله يخدومونه، وعليهم ثياب النور، أكاليل الظفر على رؤوسهم، وقال له (دين مليخ) أنهم قد وصلوا إلى محطة (الموت السابعة) ورأى (الحي الذي كان منذ الأزل)، رأى الرجل الكبير الذي شارك في خلق السموات، رأى (الموت والحياة) الخطأ والصواب، المرض والشفاء، ثم بعد أن بين له أن هذه العروش التي رآها تحرس (الأرواح) التي لم يخلق

---

(١) دنانوخت: هو نبي من أنبياء المندائين، يدعى بعض الباحثين أنه إدريس عليه السلام. يراجع/ الصابئة المندائيون – دائرة معلومات موجزة: بشير عبد الواحد يوسف، ط دار شمس (القاهرة) أولى ٢٠١٧م، ص ١٦٢

لها أجساد بعد، وبعد أن يحيى في الدنيا ستعود إلى مقرها السماوي مرة أخرى، ثم يأمره أن يزل مرة أخرى إلى الأرض، ليعلم الناس حتي ينتهي عمره، ويأتي هو الآخر ليعيش في عالم النور.[١]

ويلاحظ على الصعود المندائي ما يلي: ١- أنه معراج مستمر، ولن يقتصر على (دنانوخت) بل سيعرج (يحيي بن زكريا) ومن قبله عرج (آدم)، وكل روح (نشاماثا) ستعرج بعد أن تؤدي دورة حياتها على الأرض لتعود إلى مقرها السماوي[٢].

٢- تنحصر مرئيات (دنانوخت) على صور من المتناقضات التي تحدد سير الحياة الدنيا، وبعض الرذائل التي لها عقاب مثل (الزنا- والادعاء الكاذب).

٣- غاية الصعدة السماوية (التعليم)، والحصول على اليقين اللازم لدعوة التلاميذ.

ثانيا: الصعود عند المانيين

المانية كما هو معروف نسبة إلى (ماني)[٣]، وهي ديانة خليط مما سبقها من أديان، وقد نقل الكُتّاب عن (ماني) ادعاءه الصعود إلى السماء والعودة بكتاب فيه الهداية لأتباعه، " فقد سافر (ماني) في تلك الأيام في مناطق الشرق باستمرار، ووصل في يوم من الأيام إلى جبل فيه كهف، ولم يكن في هذا الكهف تيار ضروري من

---

(١) يراجع/ كنزاربا – الكنز العظيم، الكتاب المقدس للصابئة المندائيين (اليمين): ترجمة/ يوسف متى قوزي – صحيح مدلول السهيري – وفقا لقرار الطائفة، أعد الصياغة الأدبية/ عبد الرازق عبد الواحد، ط شركة الديوان العام (العراق) ١٩٩٩م، ص ١٦١: ١٦٩

(٢) يراجع/ الأديان والمذاهب بالعراق: رشيد الخيون، ط منشورات الجمل (كلونيا – ألمانيا) بغداد ط ثانية ٢٠٠٧م، ص ٣٠

(٣) ماني: مؤسس المانوية لفق ديانته من ليهودية والمسيحية، ولد حوالي عام ٢١٦م تراجع ترجمته وافية/ موسوعة تاريخ الأديان، تحرير/ فراس السواح، ط دار علاء الدين (دمشق) ٢٠١٥م، ص٥٥ وما بعدها.

الهواء فحسب، بل ونبع ماء أيضا، كما لم يكن سوى مدخل واحد أيضا، وأحضر ماني إلى الكهف زادا من المؤن بقدر يكفيه لمدة عام دون أن يراه أحد، ثم تكلم مع أتباعه بشكل مقنع بهذه العبارات " سأحمل نفسي إلى السماء، وسيدوم مكوثي في القصور السماوية لمدة عام، وسأعود من السماء إلى الأرض عند انتهاء الشهر الثاني عشر، وسأجلب لكم البشائر من الرب "، ثم تابع توجيه خطابه للناس قائلا: " ترقبوني بدقة وعناية في بداية العام القادم في مكان كذا وكذا على مقربة من الكهف "، واختفى من بينهم، وظل يعمل طوال سنة كاملة، ويرسم رسومات رائعة على أحد الألواح وسماه (أرداهانغ ماني)، وبعد عام خرج لأتباعه قائلا:" أحضرت هذا اللوح من السماء معي حتي يكون بمثابة معجزتي النبوية "[1].

من النص السابق يتبين أن صعود ماني المزعوم، ليس حقيقيا بل كان عبارة عن خدعة؛ خدع بها (ماني) أتباعه، ليوهمهم بأنه رسول من قبل الله، وهو كاذب في ذلك، ولا يصرفنك أيها القارئ الكريم عن هذا الحكم كون الكتاب وسم في عنوانه (المانية) بالزندقة، فقد كانت نحلة مدانة في حياة مؤسسها، حتي حكم عليه بالإعدام – والله أعلم بالصواب –.

مما سبق يتضح أنه لا يوجد تطابق بين أساطير الصعود في (المندائية والمانية) وبين (الإسراء والمعراج).

(١) ماني والمانوية – دراسة لديانة الزندقة وحياة مؤسسها: جيوايدنفرين، ترجمة/ سهيل زكار، ط دار حسان بدون بيانات دار النشر – أولى ١٩٨٥م، ص ١٤١ – ١٤٢

المطلب الخامس

الصعود في الفكر المسيحي

أولا : صعود المسيح

وردت نصوص تؤكد حصول صعود للمسيح بعد أن نزل إلى (جهنم) وحرر القديسين، وليس معراجا سماويا يليه عودة لحياة أرضية مباشرة كما في القصص السابقة، جاء في إنجيل مرقس:" أن الرب بعدما كلمهم (تلاميذه) ارتفع إلى السماء وجلس عن يمين الله وأما هم فخرجوا وكرزوا في كل مكان، والرب يعمل معهم ويثبت الكلام بالآيات التابعة"(١)، وجاء في إنجيل لوقا:" وأخرجهم خارجًا إلى بيت عنيا ورفع يديه وباركهم، وفيما هو يباركهم، أنفرد عنهم وأُصعد إلى السماء. فسجدوا له ورجعوا إلى أورشليم بفرح عظيم"(٢)، وجاء في رسالة بولس لأهل أفسس "إذ صعد إلى العلاء سبى سبيا وأعطى الناس عطايا وأما أنه «صعد»، فما هو إلا إنه نزل أيضا أولا إلى أقسام الأرض السفلى، الذي نزل هو الذي صعد ايضا فوق جميع السماوات، لكي يملا الكل.."(٣)، وجاء في رسالة بولس للعبرانيين:" بعدما صنع بنفسه تطهيرًا لخطايانا، جلس في يمين العظمة في الأعالي"(٤).

هذه النصوص تثبت – في العقيدة والتقليد المسيحيين– صعود المسيح بعد تحريره أرواح القديسين بعد فداءه لهم من الخطيئة الأصلية، وجلوسه عن يمين الله – تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا – في السموات(٥).

---

(١) إنجيل مرقس (١٦/ ١٩– ٢٠)

(٢) إنجيل لوقا (٢٤/ ٥٠: ٢)

(٣) رسالة بولس الرسول إلى أهل أفسس (٤/ ٨: ١٠)

(٤) رسالة بولس للعبرانيين (١/ ٣) وكذلك/ رسالة بطرس الأولى (٤/ ٦)

(٥) يراجع/ القيامة والصعود: متى المسكين، ط مطبعة دير الأنبا مقار(وادي النطرون – مصر) ثالثة ٢٠٠٠م، ص ٣٤٩ وما بعدها.

ثانيا : صعود بولس

في رسالة بولس الثانية لأهل (كورنثوس) صرح بولس بصعوده إلى السماء، وتلقيه أوامر وإخبارات من قبل (الرب)، وكان غرضه منع الانشقاق الكنسي، وتجميع الناس حول دعوته(١).

ولذلك جاءت الإشارة مقتضبة لذلك الصعود البولسي، جاء في رسالة بولس لأهل كورنثوس الثانية:" إِنَّهُ لاَ يُوافِقُنِي أَنْ أَفْتَخِرَ. فَإِنِّي آتِي إِلَى مَنَاظِرِ الرَّبِّ وَإِعْلاَنَاتِهِ، أعرف إِنْسَانًا فِي الْمَسِيحِ قَبْلَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً. أَفِي الْجَسَدِ؟ لَسْتُ أَعْلَمُ، أَمْ خَارِجَ الْجَسَدِ؟ لَسْتُ أَعْلَمُ. اللهُ يَعْلَمُ. اخْتُطِفَ هذَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ وَأَعْرِفُ هذَا الإِنْسَانَ: أَفِي الْجَسَدِ أَمْ خَارِجَ الْجَسَدِ؟ لَسْتُ أَعْلَمُ. اللهُ يَعْلَمُ أَنَّهُ اخْتُطِفَ إِلَى الْفِرْدَوْسِ، وَسَمِعَ كَلِمَاتٍ لاَ يُنْطَقُ بِهَا، وَلاَ يَسُوغُ لإِنْسَانٍ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِها"(٢)

فلم يذكر التفاصيل التي رآها لا في السماء ولا في الفردوس(٣)، ويفسر ذلك بأن الإعلان كان خاصا ببولس، فقد كانت هذه الصعدة حافزا له على رحلاته التبشيرية،" والعهد الجديد شديد التحفظ – عن عمد – بالنسبة للتفصيلات المتصلة بالآخرة، والحياة بعد الموت، ويجدر بالمسيحيين أن يكفوا عن التفكير الباطل حول هذا الموضوع، ولقد أوضح لنا الله بكل جلاء الأمور المتعلقة بخلاصنا، أما كل ما بقي دون توضيح فلا ضرورة له "(٤)

---

(١) الكنز الجليل في تفسير الإنجيل: وليم إدي، صدر عن مجمع الكنائس في الشرق الأدنى (بيروت) ١٩٧٣م، ج ٦ ص ٣

(٢) رسالة بولس لأهل كورنثوس (١٢/ ١: ٤)

(٣) يراجع/ التفسير الكامل للكتا ب المقدس (العهد الجديد): متى هنري، ترجمة مجموعة من ذوي الاختصاص – إشراف/ جوزيف صابر، ط مطبوعات إيجلز (القاهرة) أولى ٢٠٠٢م، ج ٢ ص ٣٧٥

(٤) التفسير الحديث للكتاب المقدس: ر.ف.ج تاسكر، ترجمة/ نجيب إلياس برسوم – تحرير/ جوزيف صابر، ط دار Ktal ink ١٩٩٥م K١٩٩٥nk l دار يانات ١٩٩٥م، .ف.ج تاسكر، ترجمة/ نجيب إلياس برسوم – تحرير الباطل حول هذا الموضوع، ولقد أوضح لنا الله بك

يلاحظ على الصعود في الفكر المسيحي ما يلي:

١- الصعود في الفكر المسيحي مربتط بالعقيدة، وغير واضح المعالم؛ فصعود المسيح لم تذكر تفاصيله ولا كيفيته، وصعود بولس مبهم وغير واضح المعالم، بل هو مجرد إخبار بالصعود فقط.

٣- سياق دعوى صعود بولس، يدفع الناظر للاعتقاد بأنه غير حقيقي، فقد جاء في سياق التدليل على أحقيته وصدقه في الوعظ والتبشير بالإنجيل القائم على (ألوهية) المسيح؛ فقد استغرب المدعون دعواه (ألوهية المسيح)، فأعطى لهم مبررا أنه تلقى هذه التعاليم في السماء، وأنه لم يخبرهم فقط لأنه متواضع !!.

مما سبق يتضح أنه لا تطابق بين (الصعود في الفكر المسيحي) والإسراء والمعراج، وإنما اشتراك في (المعني العام ؛ وهو الصعود إلى السماء فقط).

المطلب السادس

الصعود في الأساطير الهندوكية والزرادشتية

أولا : الصعود في الهندوكية

وأبرز الأمثلة على الصعود في ثقافة الهندوس (صعود يوديشترا)، الذي اعتزل الملوكية، وتنازل عن عرشه، والتزم التنسك والسياحة هو ومن تبعه من أصدقائه، وتبعهم كلب، وساروا في سفرهم حتي بلغوا الجبل الأسطوري(ميرو)، فأخذوا في تسلقه، وأخذ أصحابه يتساقطون كل حسب عمله، وأخذ (يوديشترا) يعلل سقوط كل واحد منهم؛ بارتكابه إثما؛ حتي سقطوا جميعا؛ ولم يتبق إلا الكلب.

حينئذ جاء (الإله إندرا) بعربته السماوية، وطالب (يودشترا) أن يركب معه؛ ولكنه رفض إلا أن يعيد أصحابه إليه؛ فأخبره (إندرا) أنهم سبقوه إلى الجنة؛ فطالب (يوديشترا) أن يصطحب معه الكلب، وصمم على ذلك رغم اعتراض (الإله إندرا)؛ ثم فوجئ بأن الكلب قد تحول إلى (الإله دارما)، ثم صعد الجميع العربة إلى السماء، يحيط بهم (ريشي – العارفون الكمل، ودارت حوارات بين (يوديشترا) والآلهة عن ضرورة أن يلحق أصحابه به، ولكن الآلهة عاندته أول الأمر، ثم سمحت له بالبحث عنهم، ثم وجد في السماء (دريودانا) – وهو ملك محارب طرد يوديشترا واضطهده في الدنيا – فاستشاط غضبا وهم أن يترك السماء، ولكن الآلهة طالبته بالتخلى عن حقده، وأوعزت الآلهة إلى دليله السماوي أن يقوده حيث أهله،ولكنه لم يجد منهم سوى جثث رمة، فجلس عندهم بغية التخفيف عنهم، وكاد أن يسخط على الآلهة لأنها لم تحقق العدالة مع (دريودانا)، ولكن الآلهة وساكنى السماء أتوا إليه، وأعلموه أن كل هذا كان اختبارا ليستحق مجده العالي، وفي النهاية وجد أصحابه وزوجته في أبهى صورة، ليكتشف أن زوجته (هي الألهة لكشمي ربة البركة الهندية)وليتكشف الحقيقة السماوية

لكل من تعامل معه أثناء رحلته[١].

ويلاحظ على الصعود في الهندوكية ما يلي:

ارتباطه بالمفاهيم الهندية (التخلى عن الدنيا والزهادة فيها، السياحة والبحث عن الآلهة، الجغرافيا الأسطورية، التصور الساذج عن الآلهة وتشخصها في صورة البشر بل والكلاب، فضلا عن تأكيدها على أن السماء مسكن الأرواح الخيرة جميعا، تعيش مع الآلهة.

ومن خلال ما سبق نجد أنه لا تطابق بين الصعود الهندوكي والإسراء والمعراج.

ثانيا: الصعود في الزرادشتية

من أشهر أمثلته ما جاء في ترجمة (الأفستا)، صعود (فيزار)[٢]، ويمكن تلخيص صعدته فيما يلي:

لما غزا (الإسكندر المقدوني) بلاد (فارس)، ودمر مملكتهم، وقضى على سلالتهم الملكية، وحرق كتبهم المقدسة، وقتل كهانهم والعارفون بالكتب الدينية، بدأ الشكوك تترى في الإله والدين والتكاليف؛ فاجتمع الكهان الباقين واختاروا من بينهم (فيزار) ليصعد للعالم العلوي ويحصل لهم على تطمينات وتأكيدات حول وجود الإله وجدوى العبادات الدينية؛ وبعد إقامة الطقوس المناسبة (الغسل ولبس ثياب جديدة وشرب ثلاثة

(١) يراجع/ المهابهارتا: ترجمة/ عبد الإله الملاح، ط دار ورد (دمشق) ثانية ٢٠١٧م، ص ٣٥٩: ٣٧٠

(٢) فيزار: كاهن زرادشتي وقع اختيار الكهنة عليه للصعود إلى الآلهة – على حد زعمهم –، عرف باسم (فيخ شابور) عرف بشروحه (للأفيستا) زمن (خسرو الأول) أفستا – الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية: إعداد/ خليل عبد الرحمن، ط دار روافد للثقافة والفنون (دمشق) ثانية ٢٠٠٨م ص ٨٧٣ بالهامش.

كؤوس من خمر (النبيذ – تشبها بما فعله زرادشت مع الملك (فيشتاسبا)[1] الذي سقاه زرادشت النبيذ فغادرت روحه جسده، وفي عالم الأرواح تلقى وعدا بالسرور والنعيم إن آمن بزرادشت، فلما رجعت روحه آمن)، وجلس الكهنة ينتظرون عودة (فيزار) سبعة أيام يتلون التعاويذ والنصوص الدينية، وحراسة جسد (فيزار) من الشياطين، وقد غادرت روح (فيزار) إلى السمو الشرعي إلى جسر (جينيفات)، وعادت روحه في اليوم السابع، ونهض (فيزار) من جديد، وصرخ الجميع (نُحَييِك يا فيزار، يا رسولنا لزرادشتي، ونبارك عودتك الميمونة من عالم الأموات إلى عالم الأحياء)، وبعد الترحاب المتبادل ؛ نقل لهم (فيزار) السلام من الإله (أهورامازدا)، وزرادشت، وكل سكان السماء، وطلبوا منه أن يحكي لهم عن مشاهداته في السماء، ولكنه طلب منهم طعاما وشرابا، ثم استدعى كاتبا يكتب كل ما يقوله لهم، وقد بين لهم أن مرافقه في السماء اسمه (سرواش وصاحبه آدور)، وبالنطق ببعض الكلمات السحرية وجد نفسه على جسر(جنيفات العظيم) وأخبرهم عن عمل الأرواح بعد مفارقتها الجسد، فهي تجلس ثلاث ليال تستجلب الرحمات لنفسها، ثم بعد ذلك تنطلق روح الصالح للتجول بين النباتات العطرية، وهناك تستقبلها فتاة جميلة، هي تمثيل للأعمال الصالحة.

ثم بمعاونة (الإله سرواش وآدور) اجتاز الجسر، وتحت حماية مجموعة كبيرة من الآلهة (بهرام – اشتاد – راشنو – ميهر – فايو)، سجدت له الأرواح الخيرة، ورأى (العادل) بيده ميزان ذهبي أصفر حيث يزن الأعمال.

ثم ذهب به (آدور وراشنو) في جولة في الجنة والجحيم؛ حيث وجد نتاج الأعمال في الدنيا، ووجد مكانا يسمى (بالمطهر) يقف فيه من تساوت سيئاتهم وحسناتهم.

ثم بعد ذلك أخذه من يده (الإله فاهومن) ونطق بكلمات سحرية، فدخل به إلى

(١) الملك فيشتاسبا: ملك آري ميدي، ناصر زرادشت وأيد دعوته – الأفستا: مرجع سابق ص ٨٧٥ بالهامش

مقر (أورمازد)[١] ومعه (زرادشت وأنصاره)، فأراد أن يركع، ولكن (أورمازد) أمرهم أن يذهبوا به ليروى الجزاء في الجنة أو النار مرة أخرى، وقد رأى عاقبة أرواح (الكهنة والملوك والمزارعين والحرفيين وغيرهم) وعاقبة كل منهم في العلم السماوي، ثم رأى عاقبة العصاة.

وفي نهاية المطاف وقف على روح الشر ومخرب العالم (الشيطان) الذي استهزأ بالعصاة قائلا " لماذا تأكلون خبز أورمازد وتقومون بأعمالي؟، لماذا لا تفكرون بخالقكم، لماذا تنفذون رغباتي؟ هكذا صرخ في وجه الآثمين " وبعد هذه الجولة الطويلة، أمره (أهورامازدا) أن يرجع إلى العالم ويخبر بكل ما سمعه ورآه، وقد تملكه الذهول عندما سمع كلام (أهورامازدا) لأنه رأى نورا ولم ير جسدا، وأمره أن يحث الزرادشتيين على التمسك بإيمانهم وختم كلامه له بقوله:" اذهب بسلام يا فيزار الصالح، فأنا معلوم لدي كل أفعال وطقوس الطهارة التي تقومون بها وتحافظون عليها، وكذلك عندما تقومون عادة بطقوس (الباراشنوم – طقوس الطهارة سبعة أيام بعد لمس الجثة) وتقدمون الصلوت للإله "[٢]

ويلاحظ على الصعود الزرادشتي ما يلي:

١- الاستعانة بالخمر طقوسيا، وتكرار حادثة قديمة (زرادشت مع فيشتاسبا)، ما يثبت بقاء الخط الأسطوري القديم فى الاستدعاء الشعائري للأساطير، ما ينفي تاريخية النص أو على أقل تقدير يلقي بالشك على مصدره وتاريخيته.

٢- التصنع الظاهر، وحشر تفاصيل تقترب من النص الإسلامي حول الإسراء والمعراج؛ فبينما القصة تفوح منها رائحة التشبيه والتجسيم ولحيز للرب؛ تجده يحشر (أنه رأى نورا ولم ير جسدا).

---

(١) إله الخير عند الزرادشتيين.

(٢) الأفستا: مرجع سابق، ص ٨٧٠: ٩٠٣

٣- مما يدل على صناعة هذه القصة؛ توافقها التام مع الغرض الذي وضعه الكهنة، والتركيز على التمسك بالدين الزرادشتي.

٤- توصل عدد كبير من العلماء المعاصرين إلى أدلة تثبت تأثر هذه القصة بالإسلام، وأن (الأفستا) ضاعت تماما وأعيدت صياغتها مرات عديدة، منها ما تم بعد الفتح الإسلامي لبلاد فارس(١).

٥- النص فيه الكثير من المخالفات العقدية للإسلام منها(العبارات السحرية، تعدد الآلهة) ما يثبت بعد المسافة بين أساطير الصعود الفارسية والإسراء والمعراج.

(١) يراجع/ تراجع مادة (زرادشتية) في كتاب/ معجم الأديان: ميرسيا الياد – يوان ب. كوليانو، ترجمة/ خليد كيدري، ط مؤمنون بلا حدود (الرباط – المغرب) أولي ٢٠١٨م، ص٢٢٠: ٢٢٥ – وكذلك/ تحريف الزرادشتيين للزرادشتية في العصر الإسلامي: خالد كبير علال، ط دار المحتسب (الجزائر)٢٠١٥.

المبحث الثاني

التحليل (الظواهري) لصور التوازي

المطلب الأول

المعني المشترك بين صور الصعود

المنهج الظواهري (الفينومينولوجي) أداة ممتازة للوصف والتصنيف والتحليل الماهوي، الذي يصل إلى جوهر الظاهرة، والقدر الجامع لجميع صورها، ويمكن تطبيق خطواته على (ظاهرة الصعود السماوي) التي استعرضنا أبرز صورها عبر تاريخ كثير من الأديان فيما يلي:

أولا: القصدية

وتعني توجيه الإنسان مداركه إلى الظاهرة المراد بحثها، وملاحظة صورها وظهوراتها المتعددة تاريخيا، وهو ما قمنا به سابقا من استعراض صور الصعود السماوي في الأديان والثقافات المختلفة.

ثانيا: الإرجاء

وتعنى وضع المعارف السابقة عن الظاهرة بين قوسين(الحيادية التامة في فهم الظاهرة واكتشافها)، ومعالجة الظاهرة بالنظرالعقلى المعمق، وتنحية التفاصيل الدقيقة، والتركيز على المعني المشترك العام بين الصور المتعددة للظاهرة، الذي يمثل (حقيقتها وجوهرها).

ثالثا: التأمل

وتقوم هذه الخطوة على عمليتين:(التركيب) ونعني بها: الإدراك الكلي دون مراعاة الفوارق؛ (المثلية) وتعني التركيز على العنصر المشترك.

رابعا: الرد

يعني رد كل شيء إلى حقيقته، والإمتناع عن إصدار أي حكم، وصياغة النظريات المفسرة للظاهرة.

٥- وبعد توجيهها وجهة إسلامية يزاد على الخطوات السابقة؛ البعد التقييمي للنتائج المستنبطة(١).

بتطبيق هذه العمليات الذهنية بالأساس على ظاهرة (الصعود السماوي) تبين أن بينها جميعا قدرا مشتركا جامعا، بغض النظر عن صحة الحادثة ووقوعها بالفعل، وبغض النظر عن مصدرها وزمنها، هذا المعنى الجامع هو ما يلي:

١- وجود اعتقاد مشترك بأن السماء هي جهة العلو، التي ترمز إلى العلو والوجود الإلهي، الذي لا يجد الإنسان سواه موئلا عند الشدائد والأزمات.

٢- الوجود الإلهي هو مصدر الهداية والرشاد والتعليم والطمأنينة.

٣- وجود أناس مصطفين من قبل الإله؛ ليكونوا وسطاء لتبليغ رسالته وهديه وتعليمه للناس.

٤-الاستدعاء السماوي وسيلة أساسية ورئيسية لتثبيت قلوب المختارين المصطفين من البشر.

٥- الاستدعاء السماوي أداة لتحصيل اليقين العياني للبشر، وإذا لم يكن البشر جميعا صالحين لتحصيل هذا العيان، فليكن المختارين منهم وسيلة لتوصيل هذا العيان

---

(١) يراجع تفاصيل هذه الخطوات المنهجية في رسالة دكتوراة بعنوان/ تجديد علم الأديان وتوظيفه في مواجهة الإلحاد – دراسة تحليلية: أحمد رضا عبد الحميد، إشراف/ أد/ صابر أحمد طه، (قسم الأديان والمذاهب – كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة) مخطوطة – العام الجامعي ٢٠٢١- ٢٠٢٢م، ص ٩٧: ١٠١

واليقين للناس.

٦- ارتباط هذا اليقين ببيان صور الثواب والعقاب، وارتباطه في غالب الأحوال بتوصيل أمر أو تكليف إلهي للبشر.

٧- الظمأ الإنساني لليقين الديني عن طريق العيان، والبنية الرمزية للإدراك البشري، وسعي البشرية الدائم إلى الكمال واستكشاف الغيب.

٨- غالبا ما يحتاج الصعود السماوي لإعداد سابق، أو طقس تطهيري ما تختلف طبيعته باختلاف الأديان، وقربها أو بعدها من الفكر الوضعي الأسطوري.

٩- غالبا ما يكون هناك وسيلة للصعود، إما دابة أو عربة، ذات قدرات خارقة لمعهود البشر، وفي بعض الأحيان يكون الملك أو كلمات سحرية هي الوسيلة.

هذه المعاني تعبر عن نتاج المعالجة المنهجية (لظاهرة الصعود السماوي) بتقنيات المنهج الظاهراتي، مما يدفع مظنة التحيز أو التعصب في شخصية الباحث، وتختلف التوظيفات لهذا المعنى تبعا لاتجاهات الباحثين، فالعيب – غالبا- ليس عيب منهج، بل عيب توظيف وسوء استغلال لنتائج المناهج، أو خطأ في استعمال أدوات وخطوات المنهج، والتفسير الخاطئ للنتائج وهو ما سيتبين بعد ذلك.

المطلب الثاني

الفهم الإسلامي للمعني المشترك بين صور الصعود

يقرر الإسلام أن الحقيقة الدينية واحدة في أصلها العقدي، متعددة حسب شرائعها، التي جاءت لتناسب حاجات البشر واستعداداتهم، يقول الله – تعالي–:﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقال ﷺ: «أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم، في الأولى والآخرة» قالوا: كيف؟ يا رسول الله قال: «الأنبياء إخوة من علات، وأمهاتهم شتى، ودينهم واحد، فليس بيننا نبي»(١).

ثم لما انحرف البشر عن هدي الله – تعالي– بعث الله الرسل مبشرين ومنذرين، قال – تعالي–: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ ﴾ [البقرة: ٢١٣].

ومع طول الأمد بالأمم حرفتهم الشياطين عن دينهم، وكانت للعوامل التاريخية دورها الحاسم في تحريف الأديان عن وجهتها:(التوحيد للخالق والعدل بين الناس)، قال – تعالي–: ﴿ ۞ أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ١٦ ﴾ [الحديد: ١٦]

وقد بقيت آثار في الأديان المحرفة عن أصلها الإلهي التي تظهر في أحداث؛ عقائد أو عبارات بقيت على أصلها و أعيد تأويلها لتتناسب مع المعتقد الشركي الجديد؛ ولكن بقيت مسحة من الحق فيها؛ وهذا ما يظهر في كثير من العبارات التي تدل على التوحيد في كثير من الأديان المحرفة، وبقاء نظرة التبجيل للأنبياء، وكثير

---

(١) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقي، ط دار إحياء التراث العربي (بيروت)، كتاب الفضائل – باب فضائل عيسي عليه السلام حديث رقم ٢٣٦٥، ج ٤ ص ١٨٣٧

من الأفكار الرئيسية في القصص مع ما نال التفاصيل من تحريفات تظهر للفاحص من أول وهلة، وهذا هو ما قصده القرآن حينما خاطب اليهود بقوله – تعالي–:﴿ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُۗ قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾ فَمَنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾ ﴾ [آل عمران: ٩٣ – ٩٤]

فلما جاء الإسلام بالحنيفية السمحة؛ نفى الغبار والران وظهر المحتوى الديني الحق في العقيدة والشريعة والأخلاق؛ صافيا عن التحريف والتحوير؛ حتي تبين ذلك واطلع عليه الراسخون من أهل الأديان السابقة؛ فآمنوا به وصدقوه، وهذا هو المعنى المقصود في قوله – تعالي–: ﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكّٖ مِّمَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ فَسۡـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقۡرَءُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكَۚ لَقَدۡ جَآءَكَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾ [يونس: ٩٤].

ومن ثم فما يظهر من نوع تشابه بين الأديان السابقة في أخبارها وقصصها أو حتي بقايا التوحيد فيها؛ فلا يعبر عن اقتباس الإسلام أو تأثره بها، بل مرده إلى الأصل الإلهي الواحد الذي أنزل هديا واحدا في مضمونه للبشر جميعا، واتبع طريقة واحدة في وحيه لرسله وتعامله معهم، اصطفاءا وتأييدا بل حتى في عقاب الأمم المكذبة؛ سنته واحدة قال– تعالي –: ﴿ وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ كُلّٗا هَدَيۡنَاۚ وَنُوحٗا هَدَيۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحۡيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلۡيَاسَۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطٗاۚ وَكُلّٗا فَضَّلۡنَا عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡ وَإِخۡوَٰنِهِمۡۖ وَٱجۡتَبَيۡنَٰهُمۡ وَهَدَيۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمٗا لَّيۡسُواْ بِهَا

بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [الأنعام: ٨٣ – ٩٠].

وبين الله – تعالى – وحدة وسيلة الوحي، قال – تعالي –: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٞ ﴿٥١﴾ ﴾ [الشورى: ٥١].

وأمر الله – تعالي – نبيه ﷺ أن يبين للناس أن رسالته امتداد لما سبقها من رسالات، فقال – تعالى–: ﴿ قُلۡ مَا كُنتُ بِدۡعٗا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٩﴾ ﴾ [الأحقاف: ٩]؛ فلم يكن الرسول ﷺ مخالفا لسنة الله في رسله وأنبيائه في شيء(١).

بل دل القرآن أن تكرار الأخبار والقصص التي جاءت في كتب السابقين ليس عيبا يعاب به القرآن، بل هي العظة والعبرة التي يسعى القرآن لتأكيدها بما علمته البشرية من قصص المرسلين وغيرهم، قال – تعالى –: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَفِي زُبُرِ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ ﴾ [الشعراء: ١٩٦]، بما يؤكد على استمرارية النبوة، ودلالة على صدق النبي ﷺ وهو الأمي الذي لم يطلع على كتاب؛ بله أن يصحح للأمم أخبارها واعتقاداتها وأخبارها، جاء في تفسير البيضاوي:" وإنه لفي زبر الأولين وإن ذكره أو معناه لفي الكتب المتقدمة"(٢)، فجمع أوجه التشابه بين القرآن في قصصه وتشريعه مع الكتب السابقة لا

(١) يراجع/ مفاتيح الغيب – التفسير الكبير أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، ط دار إحياء التراث العربي (بيروت) ثالثة – ١٤٢٠ هـ، ج ٢٨ ص ٩

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، تحقيق/ محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط دار إحياء التراث العربي (بيروت)أولى – ١٤١٨ هـ، ج ٤ ص ١٥٠ – وقد قصر (التفسير الوسيط)، ج ١٠ ص ٢٨٠ معني الآية في الإشارة إلى

يفيد المعاندين في شيء؛ بل يصدق القرآن الذي أخبر أن هديه ورد سابقا في كتب إلهية، قال – تعالى –: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾ [الأعلى: ١٤ – ١٩]،"ولكن الاتفاق شيء، والاقتباس شيء آخر، وبينهما فراغ شاسع لم يحظ – حتى الوقت الحاضر على الأقل – بأن يجد من يملأه"(١)

ومن ثم فلا مانع في الإسلام من أن تقع معجزة لنبي من الأنبياء تشبه معجزة (الإسراء والمعراج)، لا أن تطابقها تماما وهو مالم يقع إلا أن يكون مسروقا من الإسلام – كما أشرنا من قبل في حال الزرادشتية –؛ فالإسراء والمعراج بالكيفية

البشارة بالقرآن والنبي ﷺ في الكتب السابقة، وهذا لا يطعن في قول البيضاوي رَحِمَهُ اللَّهُ ، بل ورد عن ابن عباس ما يؤيد هذا المعنى " وعن ابن عباس أنه قال: التوراة كلها في خمس عشرة آية من سورة بني إسرائيل.وفي رواية عنه: ثمان عشرة آية منها كانت في ألواح موسى، أي من قوله تعالى: لا تجعل مع الله إلها آخر فتقعد مذموما مخذولا إلى قوله: ولا تجعل مع الله إلها آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا [الإسراء: ٢٢– ٣٩]. ويعني بالتوراة الألواح المشتملة على الوصايا العشر، وليس مراده أن القرآن حكى ما في التوراة ولكنها أحكام قرآنية موافقة لما في التوراة. على أن كلام ابن عباس معناه: أن ما في الألواح مذكور في تلك الآي، ولا يريد أنهما سواء، لأن تلك الآيات تزيد بأحكام، منها قوله: ﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ﴾ إلى قوله: ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴾ [الإسراء: ٢٥– ٢٧]، وقوله: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ﴾ الإسراء: ٣١]، وقوله: ﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ ﴾ إلى قوله: ﴿ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ﴾ [الإسراء: ٣٤– ٣٩]، مع ما تخلل ذلك كله من تفصيل وتبيين عريت عنه الوصايا العشر التي كتبت في الألواح. "التحرير والتنوير لابن عاشور، ط الدار التونسية (تونس) ١٩٨٤م، ج ١٥ ص ٨ – ٩

(١) مدخل إلى القرآن الكريم – عرض تاريخي وتحليل مقارن: محمد عبد الله دراز، ترجمة/ محمد عبد العظيم علي – مراجعة/ السيد محمد البدوي، ط دار القلم (دمشق) ١٩٨٤م، ص ١٦٤

المعروفة هي من خصوصياته ﷺ [١]

أما غير الأنبياء من الصالحين فلهم بحسب أقدارهم عند الله كرامات قد يكون منها الانتقال من مكان إلى مكان، أو حتي عروج الروح فترى بقدرة الله من أحوال البرزخ أو الغيوب ماشاء الله لها؛ وفرق بين (المعجزة والكرامة)[٢]، وهذا كله واقع وشواهده كثيرة لا تعد.

فإذا وقع ما يشبه الإسراء والمعراج لأحد قبل الإسلام فإن كان رسولا فلا مانع من أن تكون له معجزة تشبه الإسراء والمعراج لا أن تطابقها، وإن كان صالحا فلا مانع من وقوعها معنوية كرامة له. ولكن ما يميز إخبارات الإسلام هي كونها مهيمنة على ما سبقها؛ قال – تعالي–: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [المائدة: ٤٨]، والهيمنة تقوم على جانبين: التأكيد على صدق الصحيح، وتصحيح ما لحقه التحريف والتبديل[٣]، ويجمع ذلك معنى الشهادة.

---

(١) يواقيت التاج الوهاج في قصة الإسراء والمعراج: لأبي الهدى محمد الباقر بن محمد بن عبد الكبير الكتاني، تحقيق/ عبد الرحمن و محمد ابنا محمد الباقر الكتاني، ط دار الكتب العلمية (بيروت) أولى ٢٠٠٤م، ص ٣١ وقد أشار السيوطي إلى هذا المعنى في الخصائص الكبري، ط دار الكتب العلمية – بيروت، ج ١ ص ٢٥٢

(٢) يواقيت التاج الوهاج في قصة الإسراء والمعراج: لأبي الهدى محمد الباقر بن محمد بن عبد الكبير الكتاني، تحقيق/ عبد الرحمن و محمد ابنا محمد الباقر الكتاني، ط دار الكتب العلمية (بيروت) أولى ٢٠٠٤م، ص ١٨

(٣) مدارك التنزيل وحقائق التأويل): أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، ط دار الكلم الطيب،(بيروت)أولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م، ١ ص ٤٥١

المطلب الثالث

التوظيف غير الإسلامي للمعني المشترك بين صور الصعود

تعددت التوظيفات لهذا المعني المشترك لصور الصعود، فمثلا توظف في الجدل بين النصارى والمسلمين في إثبات أن الإسلام ناقل عن المسيحية وأصلها اليهودي(١)، وتستخدم عند الملاحدة والماديين لنفس المعني، ولكن في إطار الطعن في الأديان كلها، والزعم بأنها صنعة بشرية يستفيد اللاحق من السابق، والكل يرجع إلى أساطير لا تعبر عن واقع حقيقي بل عن آمال وأحلام وخيال إنساني خصب، ويمكن بيان ذلك فيما يلي:

١- الزعم بأن أساطير الصعود كغيرها من الأساطير تعبر عن تفاعل إنساني مع الكون؛ ورغبة ملحة لتخيل الغيب، والميل للعجائبيات، فهذه الأساطير ليست تاريخية على كل حال، بل تعبر عن خيال خصب، تشابهت فيه النفوس الإنسانية بحكم وحدة تكوينها الجسمي والنفسي(٢).

٢- الزعم بأن أساطير الصعود أثر للفكرة الجغرافية التي تقضي بأن الأرض مستوية ومسطحة، وهي فكرة كانت سائدة حتي العصور الحديثة، وكل المعتقدات الدينية حول الملائكة وانتقال الموتى وغير ذلك تقوم على هذه الفكرة الجغرافية، التي ماإن أثبت العلم فسادها، حتى فسد ما بني عليها(٣).

٣- الزعم بأن التشابه مرده إلى نقل واقتباس اللاحق زمنيا من السابق، وهذا يدل

---

(١) يراجع مثلا/ https://www.drghaly.com/articles/display/١٣٦٤٠ بعنوان ماذا سرق محمد من رسولنا بولس؟!!! – تاريخ الزيارة ١٢/ ١٢/ ٢٠٢٤م الساعة ١١ ليلا.

(٢) يراجع/ معجم الأساطير: ماكس شابيرو وزميله: مرجع سابق، ص ٨- ٩

(٣) يراجع/ بين الدين والعلم: أندرو ديكسون، ترجمة/ إسماعيل مظهر، ط هنداوى (القاهرة) ٢٠١٤م، ص ٩٠

على أن الأديان صنعة بشرية، وعلى هذا تدور شبهات الملاحدة[١].

وهذه التفسيرات غير صحيحة تماما؛ فهي على اعتبار الدين عموما صنعة بشرية تكون استجابة لتحدى في الطبيعة؛ أو أنه عبارة عن تأليف وإعادة تدوير للقصص والمعلومات، وهذا الكلام بطلانه ظاهر؛ فالدين يعبر عن ظمأ لا يرتوي إلا بالعلاقة مع كائن أعلى[٢].

(١) يراجع/ الجذور الوثنية في الديانات الإبراهيمية: أمل الخطيب – مجلة الملحدين العرب – مجلة الكترونية – عدد ٧ يونيو ٢٠١٣م ص ٤٣ – وكذلك/ عن المؤسسة الإسلامية: مجلة الملحدين العرب – عدد ١٦ مارس ٢٠١٤م ص ٥٥ – وكذلك/ تاريخ مكة الغامض: مجلة الملحدين العرب – عدد ١٨ مايو ٢٠١٤م ص ٧١ وغيرها كثير مما تطفح به المواقع الإلكترونية والمدونات الإلحادية.

(٢) يراجع هذا المعنى كتاب/ الحياة الوجدانية والعقيدة الدينية: محمود حب الله، ط دار إحياء الكتب العربية (عيسي الحلب) (القاهرة) ١٩٤٨م، وهو الله – تعالى – في الإسلام.

المطلب الرابع

ترجيح التفسير الإسلامي للمعني المشترك بين صور الصعود

يقوم ترجيح التفسير الإسلامي على حقيقتين:

الحقيقة الأولى: وجود تراث ديني واحد ذي اتجاهين ساد في الحضارات العالمية الكبري (اتجاه توحيدي أصلي – اتجاه وثني طارئ على الأصل)، ولكن الميراث الديني ذي المرحلتين ساد في حضارات الشرق القديم التي مثلت المعمورة في زمانها، ووفقا للنظرية الشائعة فقد بدأت بوادر الشك في الوثنية وفكرها الأسطوري واعتمد على (الوحي الإلهي متمثلا في اليهودية وما تلاها من أديان)، و(العقل متمثلا في الفلسفة)[١].

وبتتبع الأساطير نجد تشابها واضحا في معظمها، وقد فسر هذا التشابه بوجود هذا الإرث المنقول عبر الزمن، "إن كل الكوزمولوجيات (نظريات النشأة الكونية)كما هو الشأن في الأفكار والمعتقدات الدينية الأخري؛ تمثل في كل مكان في العالم إرثا منقولا منذ ما قبل التاريخ "[٢].

فهناك في الأديان عموما بعد يمكن تسميته (بما هو موجود سلفا على الدوام)، " يوجد بالفعل في كل الديانات تقريبا، تقليد مخلّد، وعملية التخليد هذه في الغالب ما تتم

---

(١) يراجع/ محاضرات في ديانة الساميين: روبرتسن سميث، ترجمة/ عبد الوهاب علوب، مراجعة/ محمد خليفة حسن، ط المجلس الأعلى للثقافة (القاهرة) ١٩٩٧م، ص ١– ٢ ويلاحظ القيمة العلمية لتقريرات (سميث) فهو الأساس الأقدم الذي بنيت عليه أبحاث علم الأديان في المراحل التاريخية التالية، فتقريراته ذات مصداقية كبيرة، يراجع كذلك/ رؤية عربية في تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضارته: محمد خليفة حسن، ط دار قباء للنشر والتوزيع (القاهرة) ١٩٩٨م، ص ٤٧: ٥٠.

(٢) تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية: مرسا الياد، ترجمة/ عبد الهادي عباس، ط دار دمشق (سوريا) أولى ١٩٨٧م، ج١ ص ٢٧٦.

بطريقة غير واعية، يعبر الدين عن ذاته من خلال عادات موروثة عن الأسلاف، وطقوس ومرويات تستعاد تلقائيا....."[١]

وقد دلت طبيعة الأساطير الشرقية القديمة (التي تمثل معظم صور التوازي وأهمها)، على وجود أصل صحيح لها، ثم تحول للوجهة الأسطورية على مرور الزمن، فمثلا أساطير الملوك في العراق القديم، الذين تحولوا إلى (آلهة) وفقا للتفسيرات الغربية لها؛ كانوا في الأساس ملوكا أرضيين وردت أسماؤهم في قوائم الملوك التي عثر عليها في بلاد العراق[٢]، مما سبق يتضح أن هناك (تقليد أولى، دين أولاني)، هو مصدر التصورات والأخبار بل والعبادات والطقوس، وقد أخطأ (الأنثروبولوجيون)[٣] الوجهة الصحيحة إذ اعتبروا (المجتمعات البدائية) أحافير بشرية، يمكن تلمس طبيعة الدين الأول فيها، وهو اعتبار فاسد؛ فقياس الغائب على الشاهد لا يأتي بنتائج يقينية دائما، وزادوا في التضليل إذ اعتمدوا فنون هذه الأمم وصناعاتها كدليل على (التطور الصاعد) المتمثل في (التعدد المفرط ثم التفريد ثم التوحيد ثم الاستغناء عن الدين جملة)، ولو أنهم اعتبروا أحوال الأديان الموجودة فعلا لوجدوا أن الأمم تبدأ موحدة ثم تنحدر بفعل الزمن إلى التعدد والوثنية، فالحل النهائي لمشكلة البحث عن الدين الأول

(١) فلسفة الدين: جان فروندان، ترجمة/ عبد الله المتوكل، ط مؤمنون بلا حدود (الرباط – المغرب) أولى ٢٠١٧م، ص ٤٣

(٢) يراجع/ الأسطورة والتاريخ في التراث الشرقي القديم – دراسة في ملحمة جلجامش: محمد خليفة حسن، ط دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية (القاهرة) ١٩٩٧م، ص ٢٣

(٣) الأنثروبولوجيا: علم من العلوم الإنسانية يهتم بدراسة الإنسان بمختلف جوانبه (القيم الجمالية – دينية – أخلاقية – اقتصادية – ثقافية – اجتماعية – وكتسباته الثقافية) مدخل عام في الأنثروبولوجيا: مصطفي تيلوين، ط دار الفارابي (بيروت) ٢٠١١م، ص ٦

لا يكون إلا من خلال الدين الحق[١]

فالترتيب الطبيعي المتوافق حتي مع قوانين الطبيعة؛ أن التوحيد أسبق ثم يليه حالة تشظي، فالتوحيد الديني أسبق من كل الأطوار الوثنية بعد ذلك، ويمكن تلمس ذلك والتدليل عليه من خلال الأديان القديمة ذاتها، ففيها من النصوص الدالة على التوحيد ما يمكن اعتباره أصلا؛ ثم طرأت عليه عوامل الانحراف والوثنية بعد ذلك[٢].

بما يتفق مع الرؤية الإسلامية بوجود الدين الأول (دين آدم التوحيدي) الذي توارثه البشر عبر تاريخهم، وصار محددا من ضمن محدداتهم النفسية ومميزاتهم الإنسانية.

والتوحيد كما هو معروف ليس مجرد عقيدة، وإنما هو نظام فكري متكامل؛ يشتمل على (تنظيم العلاقة والحدود بين الله – تعالي- وبين عباده، والنظرة العامة للحياة والكون وغير ذلك من المسائل)، فوجود أنبياء ورسل ووحي ومعجزات في دين توحيدي في أصله ليس مستغربا ولا بعيدا.

الحقيقة الثانية: أن رسالة سيدنا محمد ﷺ جاءت لتعيد للدين الأول رونقه، فجاءت مهيمنة على ما سبقها من رسالات، وقد سبق بيان ذلك، ولكن يتبقي لنا هنا بيان التصحيح الذي طرأ على روايات وقصص الصعود السماوي في الأديان السابقة،

---

(١) يراجع/ الدين دراسات ممهدة لدراسة تاريخ الأديان: محمد عبد الله دراز، ط در هنداوي (القاهرة) ٢٠١٢م، ص ١١٢- ١١٣ – ص ١١٦ – ويراجع كذلك/ الإنسان والأديان – دراسة مقارنة: محمد كمال جعفر، ط دار الثقافة (الدوحة – قطر) أولى ١٩٨٥م، ص ٢٥- ٢٦ – وتراجع نظرية (فيللهم شميدت) المدعمة بمشاهداته للأمم البدائية حول أسبقية التوحيد على الوثنية والتعدد في كتاب/ الله والإنسان على امتداد ٤٠٠٠سنة من إبراهيم الخليل حتي العصرالحاضر: كارين آرمسترونج، ترجمة/ محمد الجورا، ط دار الحصاد (دمشق) أولى ١٩٩٦م، ص ١٧

(٢) يراجع مثلا في حضارة مصر القديمة/ حضارة المصريين القدماء – مهد الرسل والرسالات وأرض النبوءات: رمضان عبده علي، ط الأنجلو المصرية (القاهرة) ٢٠١٣م. وغيرها كثير.

ويمكن إجمال ذلك فيما يلي:

١- نفي الطابع الوثني الذي شاب قصص الصعود في الأساطير القديمة، فما من صورة من صور الصعود التي أوردناها في الأديان القديمة، إلا وفيها تعدد للآلهة؛ ففي قصة (مانيتون) تاسوع مقدس سماوي، وفي القصص العراقي القديم آلهة متعددون (أيا – آنو – وغيرهما)، وفي الفكر اليهودي؛ تحول (أنوش) إلى ملك معظم تسجد له الملائكة، وفي المسيحية صار المسيح بعد صعوده إلها يجلس على يمين الرب وهكذا، وفي الزرادشتية؛ هناك كثير من الآلهة ظهرت في الرحلة (سرواش- آدور، ميهر، بهرام راشنو- فايو)، وهذا مالا نجد له نظيرا في الإسراء والمعراج؛ بل نجد توحيدا صافيا.

٢- نفي التشبيه والتجسيم الذي يزري بمقام الألوهية، فكل الصعودات أكدت أن المعبود جسم في صورة حسنة، إلا الإسراء والمعراج التي نفى الرسول ﷺ فيها أن يكون المعبود جسما؛ فقال (رأيت نورا)[١] ولا يعني ذلك أن ذات الله نور- معاذ الله – بل هو مجرد وصف لما رآه النبي فقط[٢].

٣- نفي الطابع الدنيوي لقصص الصعود؛ فقصة مانيتون مثلا ارتبطت بتمجيد أهل مصر وأرضها؛ والصعود العراقي ارتبط بتحصيل قدرات الشفاء للمرضى (أدابا)، والحصول على الذرية والإنجاب (إيتانا) وغير ذلك؛ وهذا ما صححته الإسراء والمعراج؛ فمحضت الغرض الديني.

٤- تحديد الحدود الواضحة بين الفعل الإلهي والفعل البشري أو الملائكي؛ فمثلا الصعود اليهودي نجد فيه (ابتزاز) من موسى للرب؛ فلم ينزل حتى أعطاه التوراة،

---

(١) رواه مسلم في صحيحه – كتاب الإيمان – باب في قوله عليه السلام " نور أنى أراه " وفي قوله " رأيت نورا " حديث رقم ٢٩١

(٢) شرح النووي على مسلم: لأبي زكريا يحي بن شرف النووي، ط دار الخير (القاهرة) ١٩٩٦م، ج ٣ ص ٣٨٩.

ونسبت إليه، وفي الصعود الزرادشتي جعل النطق بكلمات سحرية حتي من الرب سببا في الصعود؛ وهذا ما نفته الإسراء والمعراج وصححته؛ قال – تعالي–: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ﴾ [الإسراء: ١]، والعبد هو الطائع لله – تعالي– يلتزم ما أمره، فهو الفاعل والعاطي والمكلف، ولا يمكن فهم ما يخالف ذلك من مراجعة النبي ﷺ ربه في عدد الصلوات؛ فإنه سأله التخفيف، ولم يعترض عليه أو يضع شروطا لنزوله على الأرض مرة أخرى كما جاء في الصعود الموسوي المزعوم.

الخاتمة

اتضح بما لا يدع مجالا للشك عند المنصف أنه: لا وجود للتطابق أو التشابه المصحح للتأثير والتأثر والنقل والاقتباس الذي زعمه الملاحدة والماديون بين الإسراء والمعراج وما سبقها ولو نظريا من أديان وأساطير؛ وقصارى ما يمكن تقريره في ذلك؛ وجود توازي؛ بمعنى الاشتراك في معنى الصعود، مع الاختلاف البين في غير ذلك، ومرد هذا التوازي إلى وحدة هدي الله – تعالي– للبشر في أصله، ووحدة سنة الله مع خلقه، وليس في الأمر اقتراض ولا تكامل بين الأديان كما يزعم أعداء إلهية الدين.

أولا: النتائج

١– العلاقة الصحيحة بين الإسراء والمعراج وما جاء في أخبار الأمم السابقة للإسلام هو التوازي، وليس التأثير والتأثر.

٢– إلهية الأخبارالصحيحة والمعجزات التى أيد الله بها رسله؛ وما البشر إلا منفعل ومتلقي لها فقط.

٣– واحدية الدين في أصله؛ فهو تعليم إلهي، انحرف كثير من الناس عنه بتطاول الزمن، وغيره من العوامل، مع بقاء بقايا وآثار لهذا الدين الصحيح في بعض العقائد والشرائع والأخبار.

٤– التحريف لقصص الصعود السماوي، تم بصبغها بالصبغة الوثنية، والقومية العنصرية، والتجسيم الغليظ، وغير ذلك مما لا يليق بالذات الإلهية.

٥– السبب في إثارة الشبهات هو سوء الفهم والتوظيف، والنظرة الغربية المادية التي تحاول سلب الأديان أدوات تأثيرها والتشكيك في مصداقيتها.

٦– امتلاك الإسلام رصيدا هائلا من الحقائق يستعصي على التشكيك.

٧– تبين أن علم الأديان أداة صالحة وممتازة في الدفاع عن الإسلام، وتحويل

الشبهات لأدلة على عظمة الدين، شرط الانفتاح على منجزات علومه المتعددة وفق ضوابط الإسلام المعرفية والمنهجية.

ثانيا: التوصيات

١- حتمية اطراح نظريات الرفض وخوض غمار الرد على الشبهات بنفس المنطق الذي يستعمله مثيروا هذه الشبهات، شريطة التعمق في معرفة الإسلام.

٢- ضرورة استخدام المناهج الحديثة وتطبيقاتها؛ بما يمثل تماشيا مع روح العصر، والابتعاد عن الردود الخطابية الدوغمائية- الاعتقاد الشائع بدون دليل -، الذي لم تعد تجد نفعا مع الأجيال الحديثة المشبعة بثقافة العولمة.

٣- ضرورة دراسة التراث الشرقي القديم، وإعادة تفسيره وفق أدوات جديدة تتوافق مع طبيعة هذا التراث ولغته، بعيدا عن التوظيف الغربي السيء له.

٤- ضرورة التأكيد على التواصل الحضاري بين ماضي الشرق وحاضره ومستقبله، فما نعيشه هو ثمرة مرة للقطيعة المصطنعة تحت شعار ديني خداع.

٥- الفهم الحضاري للإسلام بأبعاده المتعددة كفيل بتحويل ما يطرحه المشككون من شبهات أدلة دامغة على صدق الإسلام وهيمنته وصلاحيته، وإصلاحه لكل زمان ومكان .

٦- ضرورة السعي لبناء وعي لدى الشباب المسلم بعظمة دينه وحضاراته، بما يقضي على عقدة النقص التي تسبب فيما أرى كثيرا من المشكلات النفسية والانحرافات الفكرية التي نعاني منها.

المصادر والمراجع

المراجع الإسلامية:

القرآن الكريم

١- البشرى بأخبار الإسراء والمعراج الأسرى: أحمد بن إسماعيل الحلواني، ط مطبعة محمد أفندي مصطفي (القاهرة) ١٣٠٨هـ

٢- تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تحقيق/ سامي بن محمد سلامة، ط دار طيبة للنشر والتوزيع ثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٣- السيرة النبوية لابن هشام: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد، جمال الدين، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، ط شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ثانية، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥ م

٤- شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية: أبو عبد الله محمد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن شهاب الدين بن محمد الزرقاني المالكي، ط دار الكتب العلمية أولى ١٤١٧هـ-١٩٩٦م

٥- شرح النووي على مسلم: لأبي زكريا يحي بن شرف النووي، ط دار الخير (القاهرة) ١٩٩٦م

٦- قصة الإسراء والمعراج: نجم الدين الغيطي، شرح/ سيدي احمد الدردير، ط المكتبة الأزهرية للتراث (القاهرة) ١٩٩٩م

٧- المدخل لدراسة القرآن الكريم: محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة، ط مكتبه السنة - القاهرة ثانية، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م

٨- مفاتيح الغيب - التفسير الكبير أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، ط دار إحياء التراث العربي

(بيروت) ثالثة – ١٤٢٠ هـ

٩- النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم: محمد بن عبد الله دراز، اعتنى به: أحمد مصطفى فضلية، قدم له: أ. د. عبد العظيم إبراهيم المطعني، ط دار القلم للنشر والتوزيع ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م

١٠- يواقيت التاج الوهاج في قصة الإسراء والمعراج: لأبي الهدى محمد الباقر بن محمد بن عبد الكبير الكتاني، تحقيق/ عبد الرحمن و محمد ابنا محمد الباقر الكتاني، ط دار الكتب العلمية (بيروت) أولى ٢٠٠٤م

المراجع العامة:

١١- أساطير بابل وكنعان: شارل فيروللو، تعريب/ ماجد خير بك، مراجعة/ هاني الخير، ط مطبعة الكاتب العربي (دمشق) ١٩٩٠م

١٢- أخنوخ سابع الآباء (كتاب أخنوخ الأول وأسرار أخنوخ وأخنوخ الثاني): الخوري بولس الفغالي، ط الرابطة الكتابية (بيروت) أولى ١٩٩٩م

١٣- الأديان والمذاهب بالعراق: رشيد الخيون، ط منشورات الجمل (كلونيا – ألمانيا) بغداد ط ثانية ٢٠٠٧م

١٤- الأساطير: أحمد كمال زكي، ط دار الكتاب العربي (القاهرة) ١٩٦٧م

١٥- أساطير اليهود: لويس جنز برج (العالم التلمودي الشهير)، ترجمة/ حسن السماحي، ط دار الكتاب العربي (دمشق) أولى ٢٠٠٧

١٦- أساطير بابلية: ريتشارد بريتشارد، ترجمة/ سليمان التكريتي، ط مطبعة النعمان (النجف – العراق) ١٩٧٢م

١٧- الأسطورة مقدمة قصيرة جدا: روبرت إيه سيجال، ترجمة/ محمد سعيد طنطاوي، مراجعة/ إيمان عبد الغني نجم، ط دار هنداوي (القاهرة) ٢٠١٤م

١٨- الأسطورة والتاريخ في التراث الشرقي القديم – دراسة في ملحمة جلجامش: محمد خليفة حسن، ط دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية (القاهرة) ١٩٩٧م

١٩- الأسطورة والمعنى دراسات في الميثولوجيا والديانات المشرقية: فراس السواح، ط دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، ط ١ ٢٠٠١م

٢٠ أفستا – الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية: إعداد/ خليل عبد الرحمن، ط دار روافد للثقافة والفنون (دمشق) ثانية ٢٠٠٨م

٢١- البديع والتوازي: عبد الواحد حسن الشيخ، ط مكتبة الإشعاع (الإسكندرية – مصر) ط ١ ١٩٩٩م

٢٢- بين الدين والعلم: أندرو ديكسون، ترجمة/ إسماعيل مظهر، ط هنداوى (القاهرة) ٢٠١٤م

٢٣- تاريخ الكتاب المقدس منذ التكوين وحت ياليوم: ستيفن م. ميلر – وروبرت ف. هوبر، ترجمة/ وليم وهبة – وجدي وهبة، ط دار الثقافة (القاهرة) ٢٠٠٨م

٢٤- تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية: مرسا الياد، ترجمة/ عبد الهادي عباس، ط دار دمشق (سوريا) أولى ١٩٨٧م

٢٥- تجديد علم الأديان وتوظيفه في مواجهة الإلحاد – دراسة تحليلية: أحمد رضا عبد الحميد، إشراف/ أد/ صابر أحمد طه، (قسم الأديان والمذاهب – كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة) مخطوطة – العام الجامعي ٢٠٢١- ٢٠٢٢م

٢٦- تحريف الزرادشتيين للزرادشتية في العصر الإسلامي: خالد كبير علال، ط دار المحتسب (الجزائر) ٢٠١٥ م.

٢٧- التشابه والاختلاف نحو منهاجية شمولية: محمد مفتاح، ط المركز الثقافي العربي (بيروت)

٢٨- التفسير الحديث للكتاب المقدس: ر.ف.ج تاسكر، ترجمة/ نجيب إلياس برسوم – تحرير/ جوزيف صابر، ط دار Ktal ink ١٩٩٥م K١٩٩٥nk I دار يانات ١٩٩٥م، .ف.ج تاسكر، ترجمة/ نجيب إلياس برسوم – تحرير الباطل حول هذا الموضوع، ولقد أوضح لنا الله بك

٢٩- التفسير الكامل للكتا ب المقدس (العهد الجديد): متى هنري، ترجمة مجموعة من ذوي الاختصاص – إشراف/ جوزيف صابر، ط مطبوعات إيجلز (القاهرة) أولى ٢٠٠٢م

٣٠- الجبتانا – أسفار التكوين المصرية: مانيتون السمنودي، برواية الراهب/ أبيب النقادي، جمع وترتيب/ علي علي الألفي، ط دار روافد للنشر والتوزيع (القاهرة) أولي ٢٠١٠م.

٣١- الجذور الوثنية في الديانات الإبراهيمية: أمل الخطيب – مجلة الملحدين العرب – مجلة الكترونية – عدد ٧ يونيو ٢٠١٣م

٣٢- الدين دراسات ممهدة لدراسة تاريخ الأديان: محمد عبد الله دراز، ط در هنداوي (القاهرة) ٢٠١٢م

٣٣- ديوان الأساطير – سومر وآكاد وآشور (الآلهة البشر): ترجمة/ قاسم الشواف، تقديم/ أدونيس، ط دار الساقي (بيروت) أولى ١٩٩٧م

٣٤- رؤية عربية في تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضارته: محمد خليفة حسن، ط دار قباء للنشر والتوزيع (القاهرة) ١٩٩٨م، ص ٤٧: ٥٠

٣٥- فلسفة الدين: جان فروندان، ترجمة/ عبد الله المتوكل، ط مؤمنون بلا حدود (الرباط – المغرب) أولى ٢٠١٧م

٣٦- قاموس أساطير العالم: آرثر كورتيل، ترجمة/ سهى الطريحي، ط دار نينوى (دمشق) ٢٠١٠م

٣٧- القيامة والصعود: متى المسكين، ط مطبعة دير الأنبا مقار(وادي النطرون – مصر) ثالثة ٢٠٠٠م

٣٨- الكنز الجليل في تفسير الإنجيل: وليم إدي، صدر عن مجمع الكنائس في الشرق الأدنى (بيروت) ١٩٧٣م

٣٩- كنزا ربا – الكنز العظيم، الكتاب المقدس للصابئة المندائيين (اليمين): ترجمة/

يوسف متى قوزي – صحيح مدلول السهيري – وفقا لقرار الطائفة، أعد الصياغة الأدبية/ عبد الرازق عبد الواحد، ط شركة الديوان العام (العراق) ١٩٩٩م

٤٠- الله والإنسان على امتداد ٤٠٠٠سنة من إبراهيم الخليل حتي العصرالحاضر: كارين آرمسترونج، ترجمة/ محمد الجورا، ط دار الحصاد (دمشق) أولى ١٩٩٦م

٤١- ماني والمانوية – دراسة لديانة الزندقة وحياة مؤسسها: جيوايدنفرين، ترجمة/ سهيل زكار، ط دار حسان أولى ١٩٨٥م

٤٢- محاضرات في ديانة الساميين: روبرتسن سميث، ترجمة/ عبد الوهاب علوب، مراجعة/ محمد خليفة حسن، ط المجلس الأعلى للثقافة (القاهرة) ١٩٩٧م

٤٣- المدخل إلى الكتاب المقدس: حبيب سعيد، ط دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية بالقاهرة بالاشتراك مع مجمع الكنائس في الشرق الأدنى، بدون تاريخ

٤٤- معجم الأديان: ميرسيا الياد – يوان ب. كوليانو ترجمة/ خليد كيدري، ط مؤمنون بلا حدود (الرباط – المغرب) أولي ٢٠١٨م

٤٥- معجم الأساطير: ماكس شابيرو – رودا هندريكس، ترجمة/ حنا عبود، ط منشورات دار علا ءالدين (دمشق) ثالثة ٢٠٠٨م،

٤٦- معجم اللغة العربية المعاصرة: أحمد مختار عبد الحميد عمر بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب(بيروت) أولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م

٤٧- المهابهارتا: ترجمة/ عبد الإله الملاح، ط دار ورد (دمشق) ثانية ٢٠١٧م

٤٨- موسوعة الدين المقارن: نبيل فياض، ط الدار اللبرالية (برلين – ألمانيا) بدون تاريخ ولا رقم الطبعة

فهرس المحتويات

المقدمة ٣٩٩
التمهيد المسألة الأولى: التعريف بمفردات العنوان ٤٠٤
المسألة الثانية: مصادر صور التوازي ٤٠٨
المبحث الأول: صور التوازي بين الإسراء والمعراج وأساطير الصعود السماوي . ٤١٣
المطلب الأول: الصعود في الأساطير المصرية ٤١٣
المطلب الثاني: الصعود في الأساطير السومرية والبابلية ٤١٦
المطلب الثالث: الصعود في الفكر اليهودية ٤١٩
المطلب الرابع: الصعود في الأساطير المانية ٤٢٥
المطلب الخامس: الصعود في الفكر المسيحية ٤٢٨
المطلب السادس: الصعود في الأساطير الهندوكية والزرادشتية ٤٣١
المبحث الثاني: التحليل (الظواهري) لصور التوازي ٤٣٦
المطلب الأول: المعني المشترك بين صور الصعود ٤٣٦
المطلب الثاني: الفهم الإسلامي للمعني المشترك بين صور الصعود ٤٣٩
المطلب الثالث: التوظيف الإلحادي للمعني المشترك بين صور الصعود ٤٤٤
المطلب الرابع: ترجيح التفسير الإسلامي. ٤٤٦
الخاتمة ٤٥١
المصادر والمراجع ٤٥٣
فهرس المحتويات ٤٥٨